تربية القرآن لجيل الإيمان

الطبعة الثانية ، مزيدة ومنقحة

فوزي محمد أبوزيد

دار الإيمان والحياة

من الحكمة المنظومة

كَوَّنَ اللهُ في الحَشَـــايَا جَنِيْنَـاً بِعِنايَاتِ رَبِّهِ مَشْـــــــــمُولاً
فعظاماً وقد كســاها لَحْمَّـــــاً وعُرُوقاً فكان حِمْلاً ثقيـــــلاً
تصـــنعُ الأمُّ ما تشـــاءُ ولكنْ عليها محافظــــــــاً ووكيلاً
فإذا صــــارَ جَوْفُهَا منه خلواً صـــار بالحُبِّ قلبُهَا مشــغولاً
بيتُهُ حجْـــــــــــرُهَا ولله بيتٌ لا يريدُ الرضـــيعُ مِنْهُ بديلاً
وله بين أمِّــــه وأبيــــــــــهِ منزلٌ فيه يُكْرِمَــــانِ النَّزِيلا

إسم الكتاب	تربية القرآن لجيل الإيمان
المؤلف	الشيخ فوزى محمد أبوزيد
الطبعة الأولى	١٥ يوليو ١٩٩٥
الطبعة الثانية	١ يناير ٢٠١٢
رقم الكتاب	الكتاب التاسع من إصدارات الشيخ
صفحات	١٦٠ صفحة ١٥سم*٢١ سم
(الورق)	٨٠جم طباعة لون واحد أسود
(الغلاف)	كوشيه لميع٢٥٠ج، ٤ لون، سلوفان لميع
إشراف	دار الإيمان والحياة،١١٤ش ١٠٥ المعادى القاهرة ج م ع، ، ت: ٢٥٢٥٢١٤٠ ٢ ٠٠٢٠، فاكس: ٢٥٢٦١٦١٨ ٢ ٠٠٢٠
إيداع محلى	٢٠١١/٢٢٢٣١
إيداع دولى	I.S.B.N.: 978-977-716-470-2

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله على نعنمه، والصلاة والسلام على باب فضله وكنز جوده وكرمه، سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، وبعد ...

ظهر فى الآونة الأخيرة مدى شدة حاجة العالم كله للإسلام؛ وتأكدت تلك الحاجة وأصبحت أكثر إلحاحاً يوماً بعد يوم .. وخاصة بعد إنهيار أنظمة عالمية كثيرة وكبيرة، أنظمة من وضع البشر؛ سياسية وإجتماعية ومالية كانت كلٌّ منها تدعى أنها القادرة على رسم سبل إصلاح وسعادة البشرية! وبإنهيار تلك النظم وتفتتها- والباقى منها فى سبيله لذلك - أصاب الخواء الروحى والتخبُّط النفسى والإجتماعى بل والإقتصادى مؤخراً! من آمن بها من جموع الناس وعاشوا فى كنفها ردحا من الزمان .. وما أكثر من نادوا بها؛ بل وحاولوا جاهدين أن يرغموا الناس عليها!؛ فصاروا يبحثون عن النظام الذى لم يفشل أبداً! بل ويزداد قوة وثباتا وجسارة مع الأيام! فلم يكن إلا الإسلام!

فالإسلام! يزداد إنتشاراً على مرور الأيام ويتأكد لكل ذى فهم وعيان قدرته البالغة ونظرته الصائبة لصلاح الخلق على مرور السنين وتوالى الأعوام، وقدرته الهائلة على التكيف والإستنباط بالتوازى مع متغيرات الزمان والمكان.

ومن أهم ما يميز الإسلام عن تلك الأنظمة البشرية الوضعية المنهارة أو التى تصارع جولاتها الأخيرة على مسرح الحياة؛ أن الإسلام تفرَّد بأنه يؤسس حضارته ويقيم دولته على أساس بناء الفرد أولاً بناءاً صحيحاً متكاملاً.

ذلك لأن الفرد هو الذى لديه الصلاحيات لتشغيل كلَّ ما فى الكون من طاقات، والإستفادة بكلِّ ما فيه من العناصر وتطويرها تقنيا وتكنولوجيا وإجتماعيا بحسب ما يحتاج إليه الإنسان فى كل عصر، وهو اللبنة الأولى التى تتكون منها الأسرة ثم المجتمعات .. ولذا يعرج الإسلام فى بناء حضارته من الفرد إلى الأسرة .. فالجيران والأقربون .. فالمجتمع ....

ولما كان لتربية الفرد فى الإســلام تلك الأهمية البالغة؛ تناولها الإســلام فى كلِّ ما يحتاجه الفرد فى هذه الحياة من جميع جوانبه النفســية والعقلية والجســدية والروحية والمجتمعية والإقتصادية بصيغة متوازنة، ميزانها قول النبى ﷺ:

{ أَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍ حَقَّهُ }[١]

والإسلام فى تربيته للفرد؛ يوطِّد العلاقة بين الإنسان وربه حتى يصل إلى غاية يقول فيها الصادق المصدوق الذى علمَّه مولاه كل ما ينفع أمته إلى يوم لقائه:

{ الإحسانُ أَنْ تَعْبُدَ الله كَأَنَّكَ تراهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ }[٢]

ويقيِّم العلاقة بين الإنسان وغيره من بنى جنسه على أساس الأخلاق القويمة والسلوكيات الكريمة، ولا يزال يرقى بالإنسان حتى يرقى به إلى مقام يقول فيه الحبيب ﷺ:

{ لا يُؤْمِنُ أَحدُكُمْ حتى يُحِبَّ لأَّخِيه ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ }[٣]

بل ويجعل الإسلام الفرد متوازنا فى كلِّ تصرفاته، حكيماً فى كلِّ أقواله، عظيماً فى كلِّ أفعاله؛ لأن الإنسان المسلم إختار الله ﷻ له الوسطيَّة فى كلِّ أحواله، وقد قال الله تعالى لنا فى ذلك فى محكم كتابه الكريم فى (١٤٣البقرة) :

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ ﴾

فلكل هذا الذى فصَّلناه وغيره فى هذا الكتاب { تربية القرآن لجيل الإيمان }؛ طالبنا الجمُّ الكثير بإعادة طباعته بعد نفاد طبعته الأولى، فقمنا بمراجعته مع إضافة ما يقتضيه العصر من علوم ومعارف وأحوال جدَّت واستجدَّت، وخرَّجنا أحاديثه، وجوَّدنا طباعته بحيث يلائم ويواكب ما حدث من تطور فى أيامنا هذه.

---

١ صحيح بن حبان ومسند ابى يعلى ومسند البزار عن عون بن أبى جحيفه عن أبيه.
٢ سنن الكبرى للبيهقي عن عمر بن الخطاب، وصحيح البخارى عن ابى هريرة ﷺ
٣ صحيح البخاري ومسند الإمام أحمد عن أنَسٍ

أسأل الله ﷻ إن ينفع به كلّ من قرأه، وأن يصلح أحوال المسلمين صغاراً وشباباً وشيوخاً، ذكوراً وإناثاً, أفراداً وقبائل وشعوباً، وأن يجعلهم البلسم الشافى لكلِّ أدواء هذا العصر؛ إنَّهُ ولىُّ ذلك والقادر عليه، قال تعالى فى (١٠الكهف):.

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةً وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدًا ﴾

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم



الأربعاء ١٩ من محرم ١٤٣٣ هـ

الموافق ١٤ من ديسمبر ٢٠١١م

: الجميزة، محافظة الغربية، جمهورية مصر العربية

www.fawzyabuzeid.com :

fawzy@fawzyabuzeid.com :

fawzyabuzeid@hotmail.com

fawzyabuzeid@yahoo.com

مقدمة الطبعة الأولى

الحمد لله الذي أنزل القرآن تبيانًا لكل شــــئ، وهدىً ورحمةً للمؤمنين، فَمَا من شــــئ يهُمُّ المســـلم في دنياه أو أخراه، في نفســـه أو في ولده، أو في بيته أو في مجتمعه، إلا والقرآن الكريم وضَّحه وبيَّنه بأجلى بيان، وأصحِّ تبيان.

والصـلاة والسـلام على سيدنا ومولانا محمد بن عبدِ الله، علم الهداية الربَّانية، وسرّ العناية الإلهية، ومشـكاة الأنوار القدسـية، وعلى آله أهل الشـريعة الإسـلامية، وأصـحابه المتجملين بتلك الأحوال القرآنية، وكل من اهتدى بهديهم، أو تجمل بأحوالهم، أو ســار على دربهم إلى يوم الدين، آمين.

وبعد، فقد قال ﷺ ::

{ مَنْ لاَ يَهْتَمُّ بِأَمْرِ الْمُسْلِمِينَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ، وَمَنْ لاَ يُصْبِحْ وَلاَ يُمْشِي نَاصِحاً لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِكِتَابِهِ وَلإِمَامِهِ وَلِعَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ } ٤

أي أن كل مسلم يجب أن يفكر في أمور المسلمين، ومشـاكلهم بقَدْرِ ما يفكر به في مشـاكل نفســه أو أكثر، خاصــة وأن المشــاكل قد زادت والبلاء بها قد عمّ، بل إن الأمر قد أصــبح أزمة عسيرة مستحكمة في الأخلاق والمعاملات، لا يجد كثيرٌ من الناس لها مخرجًا، وأصبح الأمر كما يقول أحمد شوقي:

وإذا أُصِيبَ النَّاسُ في أَخْلاقِهِم فَأَقِمْ عَلَيْهِمْ مَأتَماً وَعَوِيلا

ويعكف الخبراء والعلماء الآن على بحث الطرق الســديدة للنهوض بمجتمعنا- اقتصــاديًا، وعلميًا، وثقافياً، وأخلاقيًا، وغيرها - ولكنهم لا يهتدون لذلك، لأنهم يبحثون عن الحل في تجارب الآخرين!!!

---

٤ (طس) عن حذيفةَ ﷺ، جامع المسانيد والمراسيل

فينظرون مثلاً إلى تجربة روســيا فيقومون بتنفيذها في مجتمعنا، مع علمهم - علم اليقين - أن لكل مجتمع طباعه وعاداته، وأخلاق أهله التي ينفرد بها عن سواه؛ .. فإذا لم تفلح هذه التجربة، نظروا إلى تجربة أمريكا فيطبقونها!، فإذا ثبت فشـــلها، اتجهوا إلى اليابان أو إلى ألمانيا، وهم في كل ذلك يريدون أن يطبقوا علينا مبادئ القوم ومُثُلَهُم لعلنا نصـــير يوماً إلى مثل حالهم في الدنيا - من العلوِّ في الأرض، والزخرف والزينة ...

ونسوا أن أساس الإصلاح في أي مجتمع من المجتمعات هو الفرد نفسه!! وهذا لا تقومه القوانين، ولا تصلحه اللوائح ولا التوصيات والتعليمات، وإلا فأى قانون يستطيع أن يمنع الغش نهائياً؟!! وأي قانون يمنع الغِيبَةَ والنميمة، والمكر والخداع، واللؤم والخيانة؟!!

لا يوجد إلاَّ قانونٌ واحد .. هو قانون السماء، الذي أنزله الله في دستوره -القرآن الكريم - ووضع يده عليه النَّبِيُّ ﷺ، وأسَّس عليه دولة المؤمنين في زمانه وإلى يوم الدين، وإلى هذا الإشارة بقوله الإمام مالك ﷺ:

{ إنما يُصلح أخرَ هذه الأمة بِمَا صَلُحَ به أولها } [5]

وأولها لم يســتمدوا مدنيتهم وحضـــارتهم من الفرس ولا من الروم، وإنما أخذوها من نور كتاب الله ﷻ .

وأساس إصلاح الأفراد - والذي يتوقف عليه إصلاح المجتمعات - هو إصلاح النفوس والضمائر، لأن النفوس إذا صلحت، والضمائر إذا طهرت، لا يحتاج الناس إلى من يمنعهم من الغشِّ، لأن الرقيب في صدورهم، والمشرف عليهم والمحاسب لهم قلوبهم وأفئدتهم. فلا يرهبون من ذي سلطان، لأن سلطان الضمير أبلغ في التوبيخ والتقريع - إذا كانت النفس الأمارة بالسوء هي المهيمنة على تصرفات - وسلوك الإنسان، والنفس الأمَّارة هي المهيمنة على أهل النفاق وكل من لا إيمان له.

---

5 فتاوى ابن تيمية.، وإغاثة اللهفان من مصائد الشيطان.

فكل من لا ينقعد في قلبه الإيمان كما جاء به النبي العدنان ﷺ - وإن تظاهر يوماً بين الناس بالأمانة والصدق والمروءة - فهو داخل في قول الله ﷻ فى

﴿ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ ﴾[٥٣يوسف]

وإنما يكون تظاهرهم بالأخلاق الكريمة لخداع غيرهم، حتى يقعوا تحت سـطوتهم، وبعد ذلك ينفذون فيهم مخططاتهم الإبليسية من الغدر والخداع واللؤم والخسة.

والذي يرحمه الله بالإيمان، ويهذب نفسـه بالقرآن، هو الذي يصـلحه الله، فينبه في داخله النفس اللوَّامة التي أقسم بها الله في قوله:

﴿ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢ ﴾ [القيامة]

فتلومه وتوبخه عندما يعصى الله، أو يفعل ما نهى عنه الله، أو يخالف في صـغير أو كبير هَدْيَ رسول الله ﷺ والفرد الذي يتربى على ذلك لا يحتاج إلى مَنْ يمشي حوله ليراقبه من شرطة أو مخابرات، ولا يحتاج من يفاجئه في عمله أو في تجارته من أي جهة من الجهات، لأن الرقيب الإيماني الذي بداخله يمنعه أن يتصـرف أي تصـرف - بأي جارحة من جوارحه - دون الموافقة على ذلك، من هيئة الرقابة الإيمانية التي تسكن في صدره ولسان حاله يردد قول القائل:

إذا مَا خَلَوْتَ الدَّهْرَ يَوماً فَلا تَقُـلْ   خَلَوْتُ وَلَكِنْ قُلْ عَلَـيَّ رَقِيبُ

وَلا تَحْسَبَنَّ الله يَغْفِـلُ سَاعَـةً   وَلا أَنَّ مَا تُخْفِـي عَلَيْهِ يَغِيبُ

فهذا جنديٌّ منهم يدخل قصـور كسـرى – بعد ما فُتحت للمسـلمين - ويعثر على صـندوق كبير يحوي مجوهرات وحُلِيَّ نسـاء كسـرى، فيحمله على حالته ويسـلمه للقائد، فيفتحه وينظر ما فيه فيتعجب ويقول له: هل رأيت ما فيه؟!! قال: نعم. قال: ما اسـمك؟ قال: ولماذا؟ قال: لنُكَرِّمُك!، قال: لو أردت بذلك كرامتي عندك ما جئتك به لأن فيه الغناء!! فاسـتدرك القائد قائلاً: نرسـل في أمرك إلى عمر ليعلم بفعلتك هذه هو وأصـحابه فيثنوا عليك بسـببها. فقال الرجل: .. إني لم أعمل ذلك من أجلك ولا من أجل عمر، وإنما عملته لله ﷻ، ولا أريد أن يعلم بعملي هذا أنت ولا عمر:

﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [التوبة١٠٥].

هذا الذي ربَّى عليه مُحَمَّدٌ ﷺ أصـحابَهُ .. فتجد الرَّجُلَ منهم عارى الجسـد إلاَّ مما يسـتر عورته، وجائع البطن! لكنك لو عرضـت عليه كنوز الدنيا كلها تجده زاهدا فيها، لماذا؟! ... خوفًا من الله ﷻ ، ومراقبة لله ﷻ.

لا يمنعه قانون ولا يخوِّفُه مراقبون، إلا هيئة الرقابة التي بداخله - والتي لا تُفتح إلا بصدق اليقين في هذا الدين - فهي التي تمنعه من مثل هذا، فإذا سـألته ما الذي يمنعك؟ يقول: منعني الله، وما الذي جعلك تترك هذا؟ يقول: نهاني الله، لأن في قلوبهم نَفْسـاً تتلقى عن الله ﷻ أوامره، وتُصدرها لهذا الجسم ليكون سائراً على ما يُحِبُّه الله ويرضاه.

والذي أسـعد هؤلاء القوم وبلَّغهم المنازل العالية، وجعلهم يجتاحون في زمانهم الأمم الراقية، لا يرجع إلى أنَّهم ربُّوا أبناءهم في مدارس أجنبية، أو لأنهم حفَّظوهم لغات أجنبية، وإنما لأنهم علموهم هذه اللغة الإلهية، وجعلوهم في كل نَفَسٍ يراقبون الذات العليَّة!! وشعارهم:

(نَزِّه الله أن يراك حيث نهاك، أو يفتقدك حيث أمرك).

وكان اعتناء الحكومة في زمانهم شـــديدًا في تفقُّد هذه التربية، فيخرج عُمَرُ إلى البادية - والتي هي بعيدةٌ عن العاصـــمة - ليتفقَّد هل وصـــلتهم هذه التعليمات الإلهية؟ فيجد ولدًا صـــغيرًا يرعى أغناماً فيناديه - والولد لا يعرف أنَّ مناديه هو خليفة المسلمين - ويقول: يا غلام بِعْ لِي شاة من هذا الغنم، فقال الغلام، إنها ليست لي، وإنما أنا أجيرٌ! وهي ملك لسيدي؛ فقال:

يا غلام، قُلْ له أن الذئب أكلها. فردَّ الغلام: يا سيدي إذا قلت هذا لسيدي الصغير في الدنيا!! فماذا أقول غداً لسيدي الكبير يوم القيامة؟!!

ويمشــي عمرﷺ في طرقات المدينة بالليل يتفقَّد هذا الخُلُق - وهو مراقبة الله ﷻ - فيمشــي بمفرده، وليس حوله حاشــيةٌ ولا حرس - لأنه يحرُسُــه إيمانُه، وعدالتُه بين الناس في زمانه - فيسمع حواراً يدور بين أمٍّ وابنتها - تختبر فيه صدق إيمانها - فتقول لها: يا بُنيَّة، ضعي على اللبن قدراً من الماء قبل أن نبيعه في الصباح. فقالت البنت: يا أُمَّاه، أمّا علمت أن أمير المؤمنين قد نهى عن خلط اللبن بالماء؟!! ... فقالت الأم: يا بُنيَّه، وهل أمير المؤمنين يرانا الآن؟

فقالت البنت: يا أُمَّاه إذا كان أمير المؤمنين لا يرانا فإنَّ الله ﷻ يرانا!! ... فوضع ﷺ حجرًا أمام الباب حتى يعرفه في الصـــباح. وفي الصـــباح جمع أولاده وقال لهم عمر ﷺ: يا بَنِىَّ، لقد كَبُرَ ســـني وَضَـــعُفَتْ قوتي، ووالله لو كان بي قوة لتزوجت هذه الفتاة، فمَنْ مِنْكُم يتزوجها، وأنا أتكفل له بجهازها كلِّه؟، فقال ابنه عاصـــم: أنا، فتزوَّجها فولدت فتاةً أنجبت بدورها عمر بن عبد العزيز الخليفة الخامس للخلفاء الراشـــدين، لأنه من بذرة منتقاة أُسِّـــسَـــتْ على تَقْوَى الله، وعلى مراقبة الله ﷻ في السرِّ والعلن، .فهذه التربية الإيمانية التي تؤسس على المبادىء التالية:

- مراقبة الله ﷻ فى السر والعلن.
- إخلاص العمل لله.
- والصدق.

- والأمانة ... وهي وحدها التي تستطيع حلَّ مشاكل مجتمعنا بِرُمَّتِهَا - بل حلَّ مشاكل البشرية كلِّها، لو سمحت لها الظروف بتطبيق مُثلها وقيمها الإسلامية.

وهذا الذي دعانا إلى عمل مثل هذا الكتاب، والذي يتحدث عن تربية القرآن للمسلم – جنيناً ثم وليداً ورضيعاً، وطفلاً وصبيًّا، وشابًا ورجلاً - ليكون رَجُلاً من الرجال الذين يقول الله في شأنهم:

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾

[١١٠- آل عمران].

ونرجو أن يطلع علي كتابنا إخواننا المؤمنون، ويسيروا على نهج القرآن في تربية أنفسهم وأولادهم، لعل الله ﷻ ينظر إلينا بعين عنايته فيصلح أحوالنا، وينقلنا من ذلِّ المعصية إلى عزِّ الطاعة، ومن التَّبعيَّة لغيرنا إلى السِّيادةِ بمُثُلِنَا وقيمنا وتعاليم ديننا، فقد قال سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ:

{ إنا قوم أعزنا الله بالإسلام، فلن نلتمس العز بغيره }[٦]

٦ مصنف ابن أبي شيبة، عن طارق بن شهاب.

نسأل الله ﷻ أن يجعل بنا وعلى أيدينا إعادة مجد الإسلام، وإصلاح أحوال المسلمين وأن يجعلنا من المعنيين بخطابه في قوله ﷻ :

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾ [٥٥النور].

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

السبت ١٧ من صفر ١٤١٥ هـ

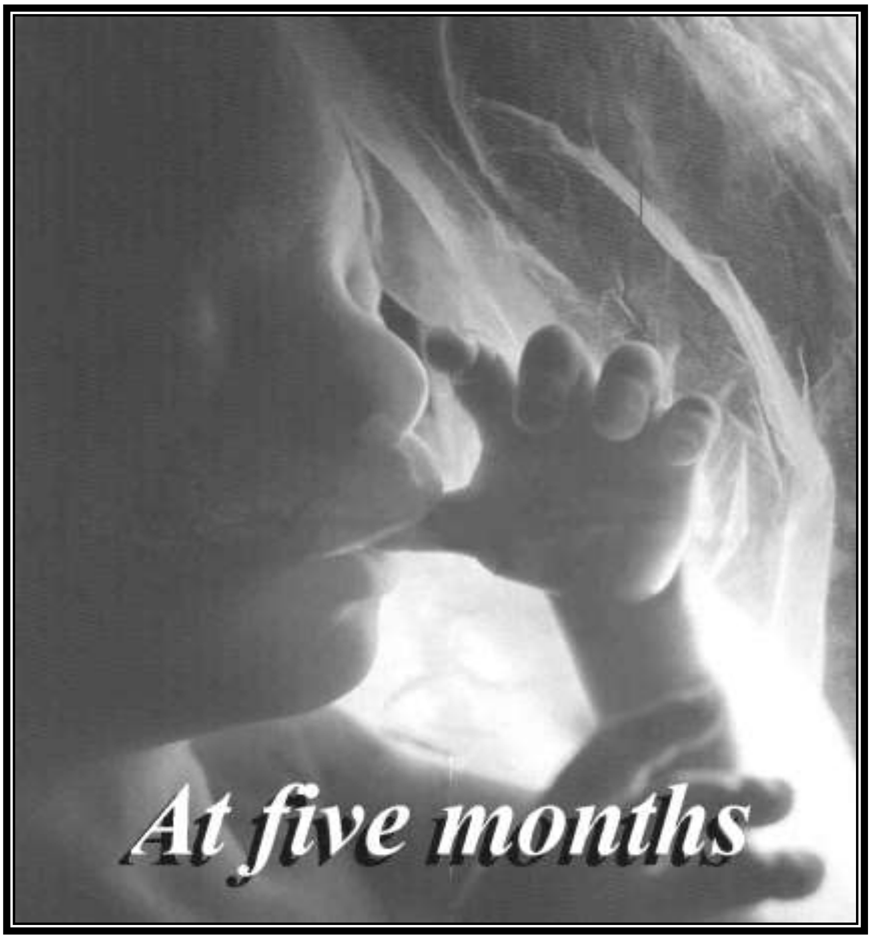
الموافق ١٥ من يوليو ١٩٩٥م



الفصل الأول

أحكام المولود في الإسلام

- عجائب ولادة المسلم
- الواجب على الأب نحو المولود
  - الآذان والإقامة
  - التحنيك
  - التسمية
  - الحلق والتَّصدّق
  - العقيقة
  - الختان
- تنبيه وعبرة
- نبات الله



صورة ثلاثية الأبعاد للجنين فى بطن أمه عند خمسة أشهر من الحمل

الفصل الأول

أحكام المولود في الإسلام

عجائب ولادة المسلم

جعل الله ﷻ للمولود في الإســلام أمرًا عجيبًا، وشــأنًا غريبًا، وذلك تأسـيًا بميلاد رسـل الله الكرام ورســول الله ﷺ . فقد كانت ولادته ﷺ خرقًا للعادة - وليســت كأي ولادة عادية - لأنه :كان يُسَّبِحُ في بطن أمه، ويُسْمَعُ تسبيحه وصوته وهو في بطنها. وقد وردأنه ﷺ وُلِدَ ساجدًا، مختونًا، مقطوع السُّرة، يرفع إصبعه - السبابة - إلى السماء) [٧]

وقد ورد أيضًا: أن الملائكة والأرواح الطاهرة نزلت لمولده ﷺ، وذُكِرَ مِمَّنْ حضرن ذلك السيدة آسية امرأة فرعون، والسيدة مريم ابنة عمران، والحور العين، كلُّهن نزلنْ لحضور ولادته ﷺ

وكذلك الطفل المسلم تحضر ميلاده لجنةٌ من الملائكة الكرام، فتساعد أمه في إتمام ولادته - وهى لا تشـــعر - وتكتنفه من جميع نواحيه لحفظه من الشـــياطين، لأن الطفل الذي يُولَدْ يحاول الشيطان أن يستحوز عليه، فَيُنْزِلُ الله ﷻ جنده لحمايته من مكر الشيطان وكيده، ويبقون في ذلك المكان - إما أسبوعًا على رأي، وإما أربعين يومًا على الرأي الآخر.

فمكان الميلاد تَتَنَزَّلُ فيه الرحمات والبركات، ولذلك طلب سيدنا جبريل من رسول الله ﷺ في رحلة الإسراء أن ينزل في بيت لحم حيث وُلِدَ سيدنا عيسى، فقال: إنزل ههنا فَصَلِّ حيث وُلِدَ عيسى. وهذا يدل على المكانة الكبيرة والمنزلة العظيمة لمكان ميلاد الأنبياء، وقد قال ﷺ:

---

٧ روى ذلك ابن سعد والبيهقي وأبو نعيم وابن عساكر عن ابن عباس عن أبيه العباس بن عبد المطلب

{ إذا وُلِدَتْ الجَارِيَةُ بعث الله ﷻ إليها مَلَكاً يزفُّالبركة زفًّاً، يقول: ضـــعيفةٌ خرجت من ضـــعيفة!! القيّمُ عليها مُعانٌ إلى يوم القيامة. وإذا وُلِدَ الغلام بعث الله إليه مَلَكاً من السماء، فقبَّل بين عينيه، وقال: الله يقرؤك السلام }[٨].

الواجب على الأب نحو المولود

يجب على الأب أو من حضر ميلاد الطفل من الأقارب ما يلي:

الآذان والإقامة:

أن يؤذِّن في أذن الطفل اليمنى آذان الصلاة، ويقيم الصلاة في أذنه اليسرى؛ على أن يكون ذلك بصــوت خافت لا يؤذي المولود، وفائدة ذلك حفظ المولود من الشــيطانة الموكلة بالصــبيان لقوله ﷺ:

{ مَنْ وُلِدَ لَهُ وَلَدٌ فَأَذَّنَ فِي أُذُنِهِ الْيُمْنَى وَأَقَامَ فِي أُذُنِهِ الْيُسْرَى لَمْ تَضُرَّهُ أُمُّ الصبْيَانِ }[٩]

٨ روى الطبراني [في الأوسط] عن أنس قال

٩ رواه أبو يعلى وابن السني في اليوم والليلة والبيهقي في شعب الإيمان عن الحسين ابن علي.

التحنيك:

وقد كان ﷺ يضــع تمرة في فيه، ويلوكها ثم يضــع جزءاً يســيراً في فم المولود التماســاً لبركة ريقه صلوات الله و سلامه عليه، وقد حبَّذ ذلك جماهير العلماء وخاصة إذا كان ذلك على يد رجل صالح لقوله ﷺ:

{ سُؤْرُ المُؤْمِنِ شِفَاءٌ } [١٠]

وكره ذلك بعض المعاصـــرين خوفًا من وجود مرض معدي ينتقل عن طريق الريق، وإن اتفق الجميع على استحسان أن يكون أول شئ يصل إلى جوف المولود طعام أو شراب حلو، ولا مانع من الإلتزام برأى الطبِّ.

---

١٠ رواه الدار قطني عن ابن عباس

الحلق والتصدُّق:

فقد أمر ﷺ عند ولادة الحسن والحسين الحلاق أن يحلق شعرهما ووزن مقابله ذهباً وأمر بأن يتصـــدق به. فإذا كان المولود ولدًا أو بنتًا له شـــعر فعلنا معه ذلك تأســـيًا بهديه صـــلوات الله وسـلامه عليه، وإن كان شـعره قصـير وقليل كمعظم المواليد في عصـرنا ـ بسـبب أخذ الأمهات للأدوية أثناء الحمل ـ اكتفينا بالتصـــدق عن المولود بما يوازي ثمن جرام ذهب تقريباً أو أقل أو أكثر على حسب السِّعة، عملاً بقول الله تعالى:

﴿ لِيُنفِقۡ ذُو سَعَةٖ مِّن سَعَتِهِۦ ﴾ [٧ الطلاق].

التَّسمية:

وتكون باختيار إسم حسنٍ له دلالةٌ ومعنى لقوله ﷺ فى الأحاديث:

{ إِنَّ مِنْ حَق الْوَلَدِ عَلى الْوَالِدِ أَنْ يُحْسِنَ اسْمَهُ وَأَنْ يُحْسِنَ أَدَبَهُ }،

{ أَكْرِمُوا أَوْلاَدَكُمْ، وَأَحْسِنُوا أَدَبَهُمْ } [11]

فمن أول إكرام المولود أن يحسنوا تسميته، ولقوله ﷺ أيضاَ:

{ إِنَّكُمْ تُدْعَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَسْمَائِكُمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِكُمْ فأَحْسِنُوا أَسْمَاءَكُمْ } [12]

وخير الأسماء بالنسبة للذكور هي المشار إليها بقوله ﷺ:

{ إِذَا سَمَّيْتُمْ فَعَبِّدُوا }، { أَحَبُّ الأَسْمَاءِ إِلَى الله مَا يُعَبَّدُ لَهُ}، { خَيْرُ أَسْمائِكُمْ عَبْدُ الله وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ } [13] وفى رواية:{ إنَّ أحبَّ أسمائِكُمْ إلــى اللَّهِ }، وروى: {أحق اسمائكم}.

[11] الحديث الأول: (بز)، عن أَبي هُريرَةَ ﷺ، جامع المسانيد والمراسيل، والثانى :سنن ابن ماجه عن أنس بن مالك.

[12] (حم د) عن أبي الدَّرْدَاءِ رضيَ اللَّهُ عنهُ، جامع المسانيد والمراسيل.

[13] الحديثان الأول والثانى فى معجم الطبرانى، وأولهما من حديث أَبي زهير الثَّقفِيّ والثانى من حديث ابن مسعود مرفوعاً، والحديث الثالث فى الفتح الكبير عن نافع عن ابن عمر. وأما ما عرف بحديث: { خير الأسماء ما حُمِدَ وعُبِد }، فإنما هو مما اشتهر على ألسنة الناس وليس بحديث نبوى شريف.

أي أسـماء التعبد المضـافة إلى الله كعبدالله، أو إلى صـفات الله ﷻ كعبد الرحمن، وعبد اللطيف وغيرها، وأيضاً أسماء الرسول ﷺ لقوله ﷺ:

{ تَسَمَّوْا بِاسْمِي وَلاَ تَكْتَنُوا بِكُنْيَتِي }[١٤]

أما بالنسـبة للإناث؛ فخير أسـمائهن ما وافق أسـماء أمهات المؤمنين، أو الصـحابيات الجليلات، أو النساء الصالحات.

والمهم في كل تلك الأسـماء أن تكون عربية ولها معنى معبِّر، ويكره التسـمِّي بالألفاظ الأجنبية أو الشـاذة، أو التي تثير السـخرية أو الإشـمئزاز عند سـماعها، وربما ظهرت أسـماءٌ واشـتهرت حيناً من الدهر وأحبَّها بعض الأهل؛ ثم تمحو الأيام شـهرتها! ويبقى للأبناء حسـرتها وندامتها! ولا ننسـى أن ننبِّه إلى أن إصـرار أحد الوالدين أحيانا على التسـمية بأسـماء آبائهم أو أمهاتهم - حتى لو كانت قبيحة - لتخليدهم كما يدَّعون؛ عقوقٌ للأبناء ومحاسـبٌ عليه! فليحذر الأهل فأسماء الأبناء ليست للتسليَّة! وإنما هى أمانة! فليتقوا الله فيها!

العقيقة:

وهي ذبيحة تذبح عند اليوم السـابع أو بعده للمولود ذكراً كان أو أنثى، ويأكل منها الأهل والأقارب والفقراء والمساكين، وفيها قوله ﷺ:

{ الْغُلاَمُ مُرْتَهَنٌ بِعَقِيقَتِهِ، تُذْبَحُ يَوْمَ السَّابِعِ وَيُسَمَّى وَيُحْلَقُ رَأْسُهُ }، وقوله: { مع الغلام عقيقة، فأهريقوا عنه دما، وأميطوا عنه الأذى }[١٥]

١٤ المسند الجامع، عن أبي هريرة ﷺ.

١٥ الحديث الأول :(ت ك) عن سمرةَ ﷺ، جامع المسانيد والمراسيل ، والثانى رواه البخاري من حديث سلمان بن عامر، وإماطة الأذى بحلق شعر الرأس، ويدخل فيها ضمنا منع تلطيخ رأس المولود بدم العقيقة كما يحدث فى بعض القرى!

وهي سُنَّة عند السِّعة (القدرة عليها)، أما غير المستطيع فليس مطالباً بها، وليس عليه شئ بتركها لقوله تعالى فى الإعسار:

﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ﴾ [٢٨٠- البقرة].

أمَّا ما يفعله الناس في عصرنا يوم السابع من الإطعام وتوزيع المعلبات أو أكياس الحلوى والمكسرات فلا مانع منها إذ هي من باب الصدقات – لو نوى صاحبها بها ذلك- وربما نوى بها التوســعة على الأهل والجيران والأحباب أو إدخال الســرور عليهم لفرحه لإنعمام الله عليه بالمولود- على ألا يسرف فيها، ولا يضطر للإستدانة! ولا تخرج إلى المباهاة لقوله ﷺ :

{ كُلوا وَاشْرَبوا وَتَصَدَّقوا في غَيْرِ سَرَفٍ وَلا مَخْيَلَةٍ، إنَّ الله تَعالَى يُحِبُّ أَنْ يُرَى أَثْرُ نِعْمَتِهِ علَى عَبْدِهِ } [١٦]

الختان:

وهو سنَّةٌ للرجال، ومستحبٌّ للنساء؛ لقوله ﷺ:

{ الـخِتانُ سُنَّةٌ لِلرِّجالِ ومَكْرُمَةٌ لِلنِّساءِ } [١٧]

وقد بدأت الأمم الغربية في ختان الذكور والتشديد في ذلك، حفظًا لسلامة عضو الذكورة من الأمراض التي تتسبب من تراكم الميكروبات والجراثيم تحت القلفة (القطعة التي تحيط بعضو الذكورة من أعلى، ويأمر الإسلام بإزالتها)، وأيضاً حفظاً لسلامة المرأة إذ ثبت بالدليل العلمى أن عدم ختان الرجال أحد الأسباب الأساسية لإصابة النساء بأمراض الأجهزة التناسلية العديدة ومنها الخبيث.

١٦ عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ،المستدرك على الصحيحين.
١٧ رواه أحمد والبيهقي والطبراني عن الحجاج بن أرطأة

وبالنسـبة للإناث؛ فكثير من الباحثين الغربيين أيضــاً يطالبون بختانهن عند الحاجة لذلك - نظرًا للفوائد الكثيرة التي تعود على الأنثى منه، ولذا تقول الباحثة الأمريكية ماري اســتوبس في كتابها [المرشــد في العلاقات الجنســية]:(إن من خير العادات عند المســلمين عادة ختان الأنثى، لأن بعض الإناث يصــل حجم البظر عندهن إلى قريب من الذَّكَرِ عند الرجل، ومثل هذه كلَّما احتك بظرها بملابســها الداخلية تهيَّجَتْ الشَّــهْوَةُ عندها)، والهدي النبوي في ختان الأنثى هو قوله ﷺ للمرأة التي كانت تزاول ذلك بين نساء الأنصار فى المدينة وكانت تسمى أم عطية:

{ اخْفِضِي ولا تَنْهَكي فـإِنَّهُ أنْضَرُ لِلوَجْهِ وأحْظى عنْدَ الزَّوْجِ }[18]،

{ يَا أُمَّ عَطِيَّةَ إِذَا خَفَضْتِ فَأَشِمي وَلاَ تَنْهَكِي }[19]

دلالة على الأمر بأخذ القليل (إشــمام) وعدم المبالغة فى الخفض؛ لأن الشـــرع الحنيف لا يقصـــد حرمان المرأة من حقها فى التمتع بنعمة ما خلقها الله لها فيها، وإنما يقصـــد ردَّها إلى الإعتدال والتوسُّط كما هو منهجه دائما من الوسطية فى المأكل والمشرب والملبس.

وفى الحديث إعجاز علميٌّ رائع على قلَّة ألفاظه، لأن الوســطية والإعتدال فى هذا الشـــأن الخاص الذى هو من أشـدِّ ما يحرِّك الجسم والنفس جميعاً؛ يكون أفضـل لصـحة الفتاة الجسـمانية والنفسـية وينعكس هذا التحسُّـن نضــارة فى الوجه -الذى هو مرآة الصــحة كما يقول أهل الطب-، وأيضـاً تصـير المرأة أحبَّ لزوجها لإعتدال حاجتها وتوسُّطها، وإلا فانظر إلى نسـاء الغرب كيف صـرن! إذ يعترف رجالهن بكلٍّ بسـاطة! أنـهن لا يصـبرن على أنفسـهن إذا غابوا عنهن! فيسـمحوا لهن بالرذيلة كما يقولون! وهذا شيىء لا يرضاه مسلم ولا مسلمةٌ بحال! .. فالختان للمرأة مكرمة وكرامة وتكريم!

١٨ (طب ك) عن الضَّحَّاكِ بن قيس، الفتح الكبير، والخفض هو الختان للمرأة.
١٩ (طص عد هق) والْخطيب عن أَنَسٍ رضيَ اللَّهُ عنهُ، جامع المسانيد والمراسيل

تنبيهٌ وعبرة

إذا رزق المرء بمولود جديد فهذه نعمة عظمى ساقها الله ﷻ إليه، فعليه أن يقابلها بالشكر، بأن يصلي ركعتين شكرًا لله ﷻ، أو بأن يتصدق على الفقراء والمساكين، أو بأن يطعم الطعام، ومن تمام الشكر على هذه النعمة ألا يُظهر الفرح بذلك أكثر من اللازم، أو يتباهى بذلك بين الأهل والأصحاب والجيران - كما تفعل النساء - لأن هذا أمرٌ لا يحصِّله المرء بإرادته، ولا يناله باختياره، وإنما كما قال الله ﷻ فى [٤٩-٥٠الشورى].:

﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ أَوۡ يُزَوِّجُهُمۡ ذُكۡرَانًا وَإِنَٰثًاۖ وَيَجۡعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًاۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٞ قَدِيرٞ ﴾

وقد نبه إلى العبرة فى الحياة منذ مجئ المولود وإلى رجوعه إلى الله الإمام أبو العزائم ﷺ وذلك في قصة رمزية حيث قال فيما روى عنه:

(ركب رجل البحر مع جماعة كثيرة، وبينما هم في عرض البحر هبَّت عليهم ريحٌ شديدة أغرقت السفينة بِمَنْ فيها، ولم يبق إلا لوح من ألواح هذه السفينة طفا على سطح الماء وتعلق به هذا الرجل، وصارت الأمواج تتقاذفه حتى اقترب من شاطئ جزيرة، وهناك رأى عجبًا، فقد وجد جموعًا كثيرة على الشاطئ تنتظره ومعهم تاج المُلك، وعند وصوله إلى الشاطئ تصايحوا فرحين وألبسوه التاج، ونادوا به ملكًا عليهم، وهتفوا بحياته، وساروا به في موكب عظيم حتى أوصلوه إلى قصر المُلك.

وبعد انصـراف تلك الجموع، أحضـر كبار مسـاعديه وسـألهم عن هذا الأمر؟ فأخبروه بأن هذه عادتهم المتبعة في كل عام حيث يسـتقبلون ناج من البحر وينصـبونه مَلِكًا عليهم في كل عام، ويقومون بعده بقذفه في وسـط غابة مجاورة مليئة بالوحوش الكاسـرة، ويبحثون عن غيره وهكذا دواليك.

فاستوضحهم عن الصلاحيات المخوَّلة له، فأخبروه أن كلَّ أمرٍ له مطاع طوال سنة حكمه؛ فعين أحدهم وزيرًا ... وأصدر إليه ثلاث قرارات أَمَرَهُ بتنفيذها فورًا ... وهي:

١. إزالة هذه الغابة بالكلية.

٢. بناء قصر مكانها يلائم أبهة الملك.

٣. زراعة حديقة حول القصر تحوي كلَّ خيرات الأرض.

وعند انتهاء العام طالبهم بتنفيذ عادتهم، فقالوا: لقد فوَّتَّ الأمر علينا بحكمتك وحسـن تصرفك).

ويسوق الإمام أبو العزائم ﷺ العبرة في هذه القصة حيث يقول:

تشير هذه القصـة إلى قصـة كل مولود يخرج إلى هذه الحياة. فالطفل في بطن أمه كالغريق وسط البحر، وعند ولادته ينزل مَلَك فيخرجه بلطف ورقة وحنان على ريشة من جناحه، كالغريق الذي تعلق بلوح الخشـب، والجنين في بطن الأم يحيطه الله ﷻ بالماء من جميع الجهات حتى لا يتأثر بحركتها واهتزازاتها، ويتولاه الرزاق فيواصـله بالهواء والماء والدواء والطعام عن طريق الحبل السريِّ، ويخرج منه بواسطته كذلك الفضلات.

وبعد نزوله إلى الأرض يلتف حوله الأهل والأحباب ويقيمون الزينات والاحتفالات، ويكون له السلطان على كل مَنْ حوله، وعلى الأعضاء التي معه، طوال عمره في الدنيا حتى تأتيه المنيَّة.

وعندها يحاكم فى الآخرة! فإن أساء في تصرفاته وفي سلوكه أثناء ملكه فى الدنيا قذفوا به إلى جهنم وبئس المصير، وإن أحسن لنفسه واستبدل مقعده في النار بقصر في الجنة - بناه بعمله الصالح وبرِّه وتقواه - فهيئاأعدَّ له الحياة الطيبة الأبدية في جوار الله، وفي ذلك يقول القائل:

لا دَارَ لِلمَرْءِ بَعْدَ الْمَوتِ يَسْكُنُهَا   إلاَّ التي كَانَ قَبْلَ الْمَوتِ يَبْنِيهَا

فَإِنْ بَنَـاهَا بِخَيْرٍ طَابَ مَسْـكَنُهُ   وإِنْ بَنَـاهَا بِشَرٍّ خَـابَ بَانِيهَا

نَبَاتُ الله

فالإنسان نبات الله يتولى سبحانه زراعته، ويتعهده برعايته، ويجني ثمرة عمله لله ﷻ وإلى ذلك الإشارة بقوله عزَّ شأنه فى (٤٥ الكهف):

﴿ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمًا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ مُّقۡتَدِرًا ﴾.

فالحق ينزل الماء وهو مني الرجل من سـماء الرفعة لأ الرجل أرفع قدرًا أو بتعبير آخر أعلى مكاناً في حالة الوقاع، ويضعه في أرض المرأة التى بها البذرة (البويضة) التى تنتظر الماء يرويها لتنبت:

﴿ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتًا ﴾ [١٧ نوح].

وهو يشـبه النبات في هيئته ولكن الله قلبها فيه لتعتدل ، فالرأس بما فيها من حواس بمثابة الجذر في النبات - حيث به حواس النبات والقوة الغاذية وغيرها – والجذر لأسـفل ولكن الله جعل الرأس لأعلى متجهاً إلى السـماء لا إلى الأرض لكرامته على الله، والجسـم كالجذع للنبات، والأذرع والأرجل كالسيقان والأوراق.

بل ويمر الإنسان بمراحل النبات فيكون صـغيرًا ثم شـابًا فتيًا غضـًا طريًا، ثم رجلاً قويًا ثم شـيخًا، ثم يكون حصـاده، من الذي يحصـده؟!! الزارع له - وهو الله ﷻ . فإن كان زرعًا له ثمرة من الصـالحات والقربات فهنيئًا له الجنة، وإن كان زرعًا ليس له ثمر من الطاعات والخيرات فهو حطبٌ - توقد به جهنم: ﴿ وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ ﴾ [٦التحريم].

ولله درُّ القائل: أيها الشيوخ! آن الحصاد، أيها الكهول!قرب الجداد، أيها الشباب! كم جرد الزرع جراد ..

يا ابن آدم لا تغررك عافية	عليك شاملة فالعمر معدود
ما أنت إلا كزرع عند خضرته	بكل شيء من الآفات مقصودّ
فإن سلمت من الهجمات أجمعها	فأنت عند تمام الأمر محصود

ولذلك ورد في الأثر أن الناس كالشجر؛ فمن الشجر من له ظل وثمر، ومنه من له ظل وليس له ثمر، ومنه من ليس له لا ظل ولا ثمر.

- فأما الصنف الأول الذي له ظل وله ثمر: فمثل العلماء العاملين والأولياء والصالحين، فمن الناس من ينتفع بالجلوس معهم ولو لم يسمع علمهم لأنهم يوجهون الناس بعلمهم وينهضونهم بحالهم، ويدعونهم إلى الصراط المستقيم بسلوكهم وهديهم، ومنهم من يُقبل على علومهم الإلهامية يغترفون منها - وهي ثمرة طاعاتهم، ونتاج إخلاصهم - لقوله ﷺ فى الحديث الشريف، والذى يصف فيه ﷺ المقربين فيقول عليه أفضل الصلاة وأتم السلام:

{ مَنْ عَمِلَ بِمَا عَلِمَ وَرَّثَهُ اللهُ عِلْمَ مَا لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ }[٢٠]

- وأما الذي له ظلٌ وليس له ثمر؛ فكأهل اليمين من المؤمنين: فهم صالحون في أنفسهم، مطيعون لله ﷻ بأعمالهم، ينتفع بهم من يجالسهم - لتأثره بسلوكهم وأخلاقهم - وإن كانوا لا يوجهون غيرهم بأقوالهم، ولا يرشدونهم بتوجيهاتهم، فيكفيهم أنهم يعزلون شرَّهم عن غيرهم، ويَسْلَمُ الخَلْقُ من أيديهم وألسنتهم.

٢٠ رواه أبو نعيم في الحلية من حديث أنس

–

– وأما الذي ليس له ظل ولا ثمر فكالفاســـق والفاجر والعياذ بالله:فلا هو ينفع نفسه ـ بقوله أو بعمله ـ ولا ينتفع به غيره، بل إنه يجلب الضُّرَّ لنفسه بسوء فعله، ويصـيب غيره بضُّـرِّه؛ فهو كشـجرة الشـوك!! كلُّ مَنْ مرَّ بها آذته، وكذلك هو يؤذي الناس بلسـانه ـ بالسـبِّ والشَّـتم، والغِيبة والنميمة وغيرها ـ ويؤذيهم بيده ـ بشـكاية أو سـرقة أو قتل – وهكذا، وهو ن لم يؤذهم بنفسـه قصـداً ؛ كانت أذية لوجوده مثلاً سـيئاً بينهم.

فالمؤمن يجب أن يكون كالشـــجرة الطيبة من يأوي إليه يجد العطف، ويشـــعر بالحنان والرقة، ويحس باللطف والأنس، ومن يلمســـها أو حتى يقترب منها يشـــم منها رائحة القرآن، وأخلاق النبي العـدنـان، وأحوال الصـــــالحين والمتقين، فيكون كمـا قيـل في الأثر الوارد عن الصالحين:

{ عاشروا الناس معاشرة إن عشتم حنوا إليكم، وإن متم بكوا عليكم }

ومثل هذا هو الذي فهم الحكمة من الأذان والإقامة في أذن المولود.

والأذان والإقامة يقتضيان صلاة بعدهما!!

فمتى تحين هذه الصلاة؟ ..

إنها صلاة الجنازة على هذا العبد! فهى تصلى بدون أذان أو إقامة لأنهما قد أديا له فى أذنه عند ميلاده! فكأن عُمُرَ العبد ـ مهما طال ـ فهو كما بين إقامة الصـــلاة وتكبيرة الإحرام في إفتتاح الصلاة!!

فما أصدق قول القائل إذاً:

دَقَّاتُ قَلْبِ المَــرْءِ قَائِـلَةٌ لَـهُ

إنَّ الحَيَـاةَ دَقَـــائِقٌ وَثَوَانى

فَاعْمَلْ لِنَفْسِكَ بَعْدَ مَوْتِكَ ذِكْرَهَا

فَالذِّكْرُ لِلإِنْسَـــانِ عُمْرٌ ثَانِ

وما أجمل قول الإمام أبي العزائم ﷺ :

يا أيها الماء المهين من الذي سواك	ومن الذي في ظلمة الأحشاء قد والاك
يا نطفة بقـــرارها قد صــــورت	من ذا الـذي بحنـانـه أنشـــــــــاك
ومن الذي شــق العيون فأبصــرت	ومـن الـذي بـظـهــــــوره أعـلاك
ومن الذي غذاك من نعمـــــــائه	ومـن الـكـروب جـمـيـعـهـا أنـجـاك
ومن الـذي تعصـــى ويغفر دائمًـا	ومـن الـذي تنســـى ولا ينســـاك
ومن الذي بألســت أســمعك الندآ	ومن الـذي بوصـــــــــالـه نـاداك
ومن الذي يدنو إليك بفضـــــــله	وإذا ســـــــألت جنابه أعطـــــاك
ومن الذي عند الشـــدائد تقصـــدن	ومن الـذي إن تســـــــــألن لبـاك
ومن المجيب ذا ســـــألت جنابه	وإذا طـلـبـت وداده أعـطـــــــاك
ومن الـذي منح الجميـل بفضـــلـه	ومن الـذي بتلطف أحيـــــــــــاك
ومن الذي كشـــف الحجاب توددا	حتى رأت أنــــــــــــواره عيناك
ومن الذي ملأ الفــــــؤاد بحبّه	وبســره عند الصـــــــفا ناجـــــاك
ومن الذي أولاك نــــــور جماله	وبذكره وشـهـــوده صـــــــــــافك

فكر تراه ظاهـــرًا بجمـــــــــاله	متــنزلاً وهــو الــذي والاك
بِكَ قَدْ سَمِعْتُ لَكَ اعْتَرَفْتُ فَنَظْرَةٌ	أَعْطَى بِهَا يَا سَـيِّدِى جَدْوَاكَ
والوجه أشـــرق حولنا بجمـــاله	وعيوننا قد تشـــهد الأمــلاكّ
سلم على المحبوب نـــور قلوبنا	طه الذي بجمـــــــــاله حلاّك

والشاعر الحكيم قال:

وفي قَبْضِ كفِّ الطفلِ عندَ وِلاَدِهِ	دليلٌ على الحِرْصِ المُركَّبِ في الحَيِّ
وفي بَسْطِها عند الممَاتِ إشارَةٌ	ألا فـانْظُرونِي قـد خرَجْـتُ بلا شَــــئِ

الفصل الثانى

منهج العناية بالطفل في الإسلام

- أسرار الرضاعة الطبيعية.
- تأثير الرضاع في الطباع.
- كراهة الحمل أثناء الرضاع،و الرضاع وقت الجماع.
- رعاية الصبيان.
- التكنولوجيا المتطورة ورعاية الرضيع والطفل.
- الحياة الحديثة وجليسات الأطفال.
- تهذيب الصبي.
- تدليل الصبي.
- تقويم الصبي.
- التقويم بالعقوبة.
- العقاب بالضرب في الإسلام.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ﴾

(٢٣٣ البقرة)

الفصل الثاني

منهج العناية بالطفل في الإسلام

أسرار الرضاعة الطبيعية

أكد الله ﷻ على أَمْرٍ مهم تنصَّلت منه بعض الأمهات في عصرنا هذا، وبدأن ينصحن بعضهن بذلك، لا سيما اللاتي يذهبن إلى ميادين الأعمال، حيث تنصح إحداهن الأخرى قائلة: إياك أن ترضعي طفلك رضاعة طبيعية لأن ذلك يجعل صدرك يتهدل، ويصبح قوامك غير رشيق!!. لكن الله ﷻ كما قال في كتابه: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ ﴿١٤﴾ ﴾ [الفجر].

فقد خرج علينا الطب الحديث ليحذرهن من ترك الرضاعة الطبيعية عن طريق ثدي الأم أو التهاون بها، لأن ذلك يعرض الأم لمرض سرطان الثدي!! والذي ثبت علميًا أن الرضاعة الطبيعية هي خير وسيلة لاكتساب المرأة المناعة من الإصابة به. فالمرأة التي تخشى من إرضاع طفلها خوفًا على مظهرها، قد تتعرض لإزالة الثديين بالكلية إذا أصيبا بهذا الداء الخبيث وصدق الله إذ يقول: ﴿ وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِۖ لِمَنۡ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ﴾ [٢٣٣ البقرة].

والحول هو سنة هجرية كاملة، وكل الأحكام الخاصة بأمور النساء في القرآن من حيض ونفاس وعدة وحمل ورضاع تحسب بالأشهر الهجرية، لأنها هى التي نزلت بها الأحكام التشريعية.

ولذا أمر الله ﷻ بالرضـــاعة من ثدي الأم وحثَّ عليه حتى في أحلك الظروف فهذا فرعون مصـر عندما أمر بقتل كل ذكر يولد لبني إسرائيل خشـية زوال ملكه، وكانت أم موسـى حاملًا به، فأعدَّت خطة لإخفائه عن فرعون وجنوده عند ولادته، ولم تفكر في أمر الرضـــاعة، ولكن الله ﷻ لإحاطته سبحانه وتعالى بأثر الرضاعة الطبيعية أشار عليها بذلك قائلاً:

﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ﴾(٧القصص)

ومن أجل أن يؤكد لنا الله ﷻ على أهمية هذه الرضـــاعة، حَرَّمَ على موســى أثداء النســاء ووجه أخته لتقتفي أثره، وتتعرف على خبره، فلما وجدته لا يرضـــع دلتهم على أمه كمرضـــعة فأرجعه الله ﷻ إلى أمه ليرضـع من ثديها حرصًـا عليه وإلى ذلك الإشــارة بقول الله ﷻ فى محكم التنزيل:

﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ (القصص)

لماذا كل هذه العناية من الإسلام بالرضاع من ثدي الأم؟!!

ذلك لأن بالثدي المعمل الإلهي الذي جهزه الله ﷻ لتغذية وإرواء وتحصـين الولدان، ومهما تقدمت البشــرية في العلم، واخترعت من أجهزة ومعدات، فلن يســتطيع أفذاذ العلماء أن يجهزوا معملًا لتغذية الطفل الرضيع بهذه الكيفية الإلهية والإعجاز الربانِّي، وخذوا أمثلة مقتضبة ...

فإنه ينزل اللبن بقدر معلوم على قدر حاجة الصبي، فأول جرعة تخرج من هذا المعمل للطفل عقب ولادته وتسمى (لبن المسمار) تحوي كل العناصر التي يحتاجها جسم الطفل لتنشيط أعضاءه وتأهيله لمواجهة هذه الحياة، كما أنها تحوي تطعيمًا واقيًا لكل الأمراض التي يتعرض لها الطفل في هذه الفترة.

وهكذا يقوم الثدي بإمداد الوليد بما يحتاج إليه من عناصر غذائية وأمصال وقائية كلما تقدمت به السن، وليس هذا فقط بل إنه يجعل اللبن للطفل حارًا شتاءًا باردًا في الصيف، حتى لا يتعرض الطفل للنزلات المعوية والإصابات الصدرية التي يتعرض لها من يرضعون بالوسائل الصناعية، ويستغنون بها عن الرضاعة الطبيعية،

والأعجب من هذا أن هناك جهازًا غير مرئي يتخاطب بلغة ربانية بين معمل الألبان في ثدي الأم وبين الطفل ... فعندما يحسُّ الطفل بالجوع، تجد المعمل الرباني بالثدي وقد جهَّز الوجبة الكاملة !! ... والأم تترجم عن ذل قائلة: أشعر بأن اللبن كثير في ثديي ويجب على أن أرضع الآن!، فقد طلبه الطفل بطريق غير مباشر فجهزه له الإله القادر.

كيف يلتقم الطفل حلمة ثدي الأم؟ وكيف يقوم بمص الثدي ليدر اللبن؟ ... إن ذلك كله يتم بإلهام مباشر من الله، ولذلك حتى بعد نمو أسنانه فإنه لا يؤذي الثديين بها؛ بينما ينزل اللبن معقما تعقيما كاملًا، مع مراعاة تدرج النمو للطفل فمثلًا عند ظهر أسنانه تجد نسبة الكالسيوم تزيد في اللبن لحاجة الأسنان إلى هذا العنصر في نموها.

ومن بديع صنع الله ﷻ أن الأم التي ترضع طفلها من ثديها يرجع رحمها إلى حالته العادية بإذن الله في وقت يسير حيث أثبت الطب الحديث أن هناك علاقة بين حركة مص الثديين للطفل وانقباض عضلات الرحم، أضف إلى ذلك أن الرضاع يحفظ نسبة كبيرة من الأمهات من الحمل أثناء رضاعها لطفلها، وقاية من الله ﷻ وعناية منه سبحانه وتعالى بالأم وطفلها.

تأثير الرضاع في الطباع

إن الأسـرار الطبية والعلمية للرضـاعة الطبيعية كثيرة جدًا لا نسـتطيع حصـرها في هذا المختصر، ولكن القرآن الكريم يلفت نظرنا إلى أمر غريب يحدث للطفل الذي يرضع من ثدي أمه وهو أن الأم مع رضـاعها لطفلها تعطيه حنانها وتمده بعطفها، وتوليه شـفقتها، وتؤثر فيه برحمتها فيشب الطفل حليمًا لا يغضب بسرعة، ولذلك تجد الطفل الذي يرضع بالوسائل الصناعية سريع الحنق والغضـب! كثير الضـجر، ملول، لأنه لم يرضـع الحنان والعطف والشـفقة من أمه وقد قال الحكماء في ذلك:

{ إن الرضاع يغير الطباع }

وقال الشاعر أحمد تقى الدين فى قصيدته العلم بعد محاسن الأخلاق:

والأم أولى الوالـدَيْن بولْـدِهـا	تَسـقيـه من دم قلبهـا الخفّـاق
الأم مدرسـةُ البنينَ وحسـبُهم	أن يغتـدوا من ثـديهـا المهراق
هي تُرضعُ الأجسامَ والأرواحَ ما	في صـدرها من صـحة وخَلاق
فـإذا هي انحّطـتْ فنشءٌ خـاملٌ	وإذا ارتقـتْ بشِّـرْ بنشءٍ راقي
الطفلُ مثلُ الشـمعِ لَدْنٌ فاْطبعي	يـا أمُّ فيـه محـاسـنَ الأخلاق

ومن أعجب ما روي في أثر ذلك أن الإمام الحسـن البصـرى ﷺ وهو إمام التابعين في الزهد والورع والفقه إنما يرجع السبب في ذلك إلى مصَّةِ لبنٍ مصَّـها من ثدي السيدة أم سلمة ﷺ زوجة النبي!! وتفصـيل ذلك أن أمَّه كانت تخدمها، وكانت السـيدة أم سـلمة ترسـلها في قضـاء مصالحها وترقب طفلها حتى تحضر، فكان أحيانًا يبكي فكانت تعلله بوضعها لثديها في فمه؛ وإن كان ليس به لبن، لأنها كانت قد تجاوزت الثمانين. وشـاءت إرادة الله ﷻ أن تحدث المعجزة! ففي أحدى هذه المرات إذا بالثديي يمتلئ باللبن ويرضع منه الطفل حتى يشبع!! وقد أرجع العلماء سر علو شأنه في العلم والفقه والورع والزهد إلى هذه الرضعة.

وقد حدث أيضًا في عصرنا أن أسلم رجل نصراني على يد الإمام أبي العزائم ﷺ فسماه صهيبًا الرومي، ولأنه كان يجيد قيادة السيارات فقد جعله سائقه الخاص، وذات يوم قال له: (يا بُني زُرْ أُمَّكَ التي أرضعتْكَ لبنَ الإسلام). فتعجب من هذا الكلام، وذهب إلى أمه بالإسماعيليه وكانت قد هداها الله للإسلام وسألها عمن تكون المرأة التي أرضعته غيرها، فأخبرته أنها بعد ولادته مرضت مرضًا شديدًا وأجرت على أثره عملية جراحية، وقد منعها ذلك من إرضاعه لمدة ستة أشهر كاملة، فتولى إرضاعه في تلك الفترة جَارَةٌ لهم مسلمة ذكرتها له، فعلم علم اليقين أن تلك الرضاعة وذلك اللبن هما السبب في هدايته إلى التوحيد، وإصابته فطرة الله التي فطر الناس عليها.

لهذا كله أمرنا الله ﷻ أن نرضع الطفل من الأم، حتى أنه لو حدث شقاق بين الزوجين، وانفصلت الأم عن زوجها فإن الشريعة الإسلامية تلزم الأب أن يسلم الطفل إلى الأم لترضعه من ثديها ويدفع لها الأب تكاليف رضاعها، ويعطيها أيضًا أجرًا على إرضاعها لطفلها. إلا إذا رفضت الأم ذلك فعلى الأب أن يحضر للطفل امرأة أخرى ليرضع من ثديها أيضًا ويتحمل تكاليف ذلك، وإلى ذلك الإشارة بقول الله ﷻ :

﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [٢٣٣- البقرة].

وتلك عناية لم يسمع بها الأولون ولا الآخرون نحو الطفل الرضيع وفي ذلك يقول العارف بالله تعالى الشيخ محمد على سلامة في كتابه [خواطر إيمانية ص ١٢]: إن الأم ترضع الولد مع لبنها الرحمة والعطف والحنان والحب والوفاء والإخلاص والبر والود والإحسان ومعان كثيرة تتعلق بصفات الأم من الإيمان والشجاعة والثبات على المبدأ أو التفاني في سبيل الحق والواجب وحبِّ الوطن وغير ذلك، ويظهر ذلك من قول الله تعالى:

﴿ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ .﴾(القصص٧)

وما أحسن قول حافظ إبراهيم:

الأمُّ مَدرَسَةٌ إذا أعْدَدْتَها	أعْدَدْتَ شَعْباً طَيِّبَ الأعْراقِ
الأمُّ رَوْضٌ إنْ تَعَهَّدَهُ الحَيا	بالرِّيِّ أوْرَقَ أيَّما إيراقِ
الأمُّ أُستاذُ الأساتِذَةِ الأُلَى	شَغَلَتْ مَآثِرُهُمْ مَدَى الآفاقِ

كراهة الحمل أثناء الرضـاع والرضاع وقت الجماع

إن الإسلام بلغ أرقى ما وصلت إليه الحضارات قاطبة في عملية الرضاعة الطبيعية، ومن عجائب وصايا رسول الله ﷺ في هذه الناحية قوله:

{ لاَ تَقْتُلُوا أوْلاَدَكُم سِرًّا فإنَّ الْغَيْلَ يُدْرِكُ الْفَارِسَ فَيُدَعْثِرُهُ عَنْ فَرَسِهِ } [21]

والغيل هو أن تحمل الأم وهي ترضع.

وقد نهى رسول الله ﷺ عن الحمل أثناء الرضاعة ــ والنهي هنا على سبيل الكراهة ــ حتى تأخذ الأم قسـطها من الراحة بعد عناء الحمل والولادة، ويأخذ الرضـيع حقه من الرعاية والعناية التى أوجبها الله ﷻ له - فالأم إذا حملت بتغير اللبن في صدرها فيضر رضيعها، وهذا بالإضافة إلى أنها لا تستطيع أن تغذي الجنين والرضيع في وقت واحد، فلا بد أن تتفرع لواحد منهما، وفي ذلك يقول الشيخ محمد على سلامة [في كتابه (خواطر إيمانية)]:

(ومعنى الحديث - والله أعلم - أن لا تأتوا الأمر المستتر بينكم - وهو الوطأ - أثناء إرضاع أولادكم فيتسبب عنه الحمل الذي يودي بحياة أولادكم. وهذا توجيه كريم من رسول الله ﷺ، وتنبيه إلى أن مباشرة الزوجة أثناء رضاعها إغتيال لحق الطفل وهضم له، لأن في هذا هلاك له سرًّا أي بطريقة لا يعرفها أحد إلا الخاصة من الأطباء والعلماء بسنَّة النَّبيِّ ﷺ، لأنه هو الطبيب الذي بعثه الله لعلاج الإنسانية، وحل مشاكل المجتمع في كل ناحية من نواحي الحياة. وهذا الحديث يعتبر من الإعجاز النبوي الذي يخبر عن دقائق العلوم التي كشـف عنها الطب بعد طول الزمن مع ملاحظة أن الرسول ﷺ قال:

لا تقتلوا أولادكم سرًّا؛ كأن حمل المرأة أثناء إرضاعها الطفل قتلاً له).

وقد نبه الإسـلام على أمر طبي عظيم، وهو ألا ترضـع الأم طفلها بعد قيامها بمجهود جسماني أو عصبي كبير، فنهى الأم عن إرضاع طفلها بعد الجماع إلا بعد أن تغتسل، أو تغسل ثديها، لماذا؟

---

٢١ رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه والطبراني عن أسماء بنت يزيد بن السكن

لأن الدم يجري في جميع عروقها في تلك اللحظة، فربما ينزل اللبن مختلطًا بدم فيمرض منه الطفل فتكون هي التي أمرضته، لأنها لم تلتزم بأحكام الله، وبأوامر سيدنا رسول الله ﷺ . وفي ذلك يقول الإمام أبو العزائم ﷺ [في كتابه (أسرار القرآن) جـ٢ ص٥٢]:

(فإن نكاح الرجل زوجته وهي ترضـــع ســـبب في إمراض المولود إلا إذا إحتاط لنفســـه فأمرها بالامتناع عن رضـــاع الولد حتى تطهر لأن هذا النكاح يجعل الدم يســـري في الثديين، فإذا أرضع الولد عقب الجماع مباشرة تسمم!! وأكثر أمراض الأطفال من هذا العمل الجاهلي).

وقد أبدى الرســول الكريم صــلوات ربي وســلامه عليه، إعجازًا في إدراكه لأســرار بكاء الطفل، وذلك حين أشـــار علينا بعدم التخوف من كثرة بكائه، لإخباره ﷺ فى معنى حديثه أن بكاء الطفل تســبيح، ولم يُكتشــف هذا الســرُّ إلا في العصــر الحديث حيث يطالب الأطباء بترك الطفل الرضـــيع يبكي، وعدم التســـرع في كفِّه إلا إذا زاد عن قدر الاعتدال، لأن ذلك البكاء يعمل على توسيع الصدر والرئتين، فسبحان الخلاق العليم، الذي قدر كل شئ خلقه ثم هدى.

رعاية الصبيان

فإذا شب الطفل ودرج يبدأ الوالدان في ترويضه على المبادئ الدينية، ليشب عليها، أنسًا بها، متعشـقًا لها، وليعلما علم اليقين أن أول طريق يكتسب به الصبي القيم والآداب هو المحاكاة والتقليد وخاصة لوالديه لأنهما المثل الأعلى لناظريه في هذه المرحلة المبكرة وقد نبَّه إلى خطورة انتقاش ما يصدر عن الوالدين في أذهان الأولاد، وتقليدهم فيه، ونشأتهم عليه الرسول صلوات الله وسلامه عليه، وقد روى ذلك عبد الله بن عامر فقال:

{ دَعَتْنِي أُمِّي يَوْماً وَرَسُولُ الله ﷺ قاعِدٌ في بَيْتِنا، فقالَتْ هَا تَعَالَ أُعْطِيكَ، فَقالَ لَهَا رَسُولُ الله ﷺ: وَمَا أَرَدْتِ أَنْ تُعْطِيهِ؟ قالَتْ أُعْطِيهِ تَمْراً، فقالَ لَهَا رَسُولُ الله ﷺ: أَمَا إِنَّكِ لَوْ لَمْ تُعْطِهِ شَيْئاً كُتِبَتْ عَلَيْكَ كَذِبَةٌ }[٢٢]

وتتركز رعاية الصبيان في هذه الفترة على الآداب والأخلاق، وقد أشار الغزالي في كتابه (إحياء علوم الدين) إلى نموذج من رياضة الصبيان منها:

عدم لبس الملابس التي توحي بالأنوثة والنعومة، ومقاطعة من يلبسونها، والاجتهاد في تعليم الصبي حكايات الأخيار ليغرس في نفسه حبهم والاقتداء بهم، وعدم تعويده النوم في الفراش الوثير حتى لا يألف النعومة، وأن يعوده الأخلاق الاجتماعية، بعدم الفخر على أقرانه بما يملكه والده، أو بشيء من مطاعمه وملابسه، وأن يعف عما في يد غيره من الأغنياء أو الفقراء، كما يعوده الصدق وعدم الحلف، وأن يحسن الاستماع ولا يبدأ الكلام إن كان معه من هو أكبر منه، وأن يصون لسانه عن اللغو والسب، ولا يخالط من يفعلون ذلك.

وينبه الشيخ عطية صقر [في كتابه (تربية الأولاد في الإسلام) ص ٣١١] إلى خطورة هذه المرحلة فيقول:

---

٢٢ رواه أحمد وأبو داود والبيهقي

(وليحذر المُربِّي أبًا أو أمًا أو معلمًا أن يلقن النشء معلومات خطأ، أو تسليتهم بحكايات خرافية، وليبعد كل البعد عن القصص الغريب الذي يروِّع الطفل، أو يضلله، أو يشوه أفكاره. كما يجب أن تُنَبَّه الأم على الخصوص إلى خطر الأغاني التي ترقِّص بها الطفل وتدلله، فإنَّ سمعه إذا تعودها حفظها، والمعلومات التي تحويها ترسخ في ذهنه ويصعب انتزاعها، وهو يتصرَّف على هديها إن عاجلا أو آجلا. وخطر الإذاعات المسموعة والمرئية في هذا المجال كبير، فلنجتهد أن تكون الأغاني والأناشيد حاملة معاني الرجولة والبطولة والعفة والأمانة والإخلاص والوفاء وطاعة الوالدين وحب الوطن وسائر الأخلاق الحميدة).

التكنولوجيا المتطورة ورعاية الرضيع والطفل

وهنا عدة ملاحظات متعلقة بما جدَّ فى حياتنا الحديثة من تطورات تكنولوجية فائقة السرعة لا نكاد نلاحقها! وهنا أحبُّ أن أدق جرس الإنذار والتحذير بشـــدة للوالدين من تأثيراتها الســـلبية على رعاية الأطفال و الرضع!

فقد تدخلت جميع الأجهزة العصـــرية اليوم فى رعاية الأطفال والرضـــع من الكمبيوتر أو اللابتوب والأجهزة اللوحية بما فيها من برامج ملتيمديا أو صـوتيات ومرئيات خصصت للأطفال حتى الرضـــع منهم فى أيامهم الأولى لتسـكتهم وتلهيهم عن البكاء! وتسـلِّيهم بدلاً عن الأم، ومنها أيضاً أجهزة التخاطب ونقل الصورة والمراقبة عن طريق اللاسلكى أو الإنترنت والتى يمكن للأم فيها أن ترى رضـــيعها أو إبنها من بعيد وتســـمعه وتخاطبه؛ وهذا حســـنٌ فى ذاته عند الإضطرار!ولكن يساء استخدامه بشدة! لماذا؟

لأنه للأســف يوفر للأم الأعذار المريحة لتبتعد عن طفلها مادامت مطمئنة عليه! ولكن هل أجهزة مخاطبة ورؤية الأطفال وتشغيل الأغانى أو المسليَّات لهم؛ هل تلك الأجهزة ستحضنهم أو ســتبثُّ فيهم الحنان؟! فحتى لو نقلت للطفل صــوت الأم وصــورتها فهى لا تعدو أن تكون أجهزة جامدة!

والتحذير الثانى هنا أن تلك الأجهزة قد تعوِّد الرضــيع أو الطفل على الإكتفاء بصــوت أو صــورة أمه أو أبيه عن العلاقة الحقيقية بينه وبين أمه أو أحد من أهله! بل للأســف قد يجد الطفل أنها أكثر تسلية وإمتاعاً من أمه إذا تعوَّد عليها وما أسهل الكتابة فى صفحة بيضاء ناصعة لم يخط فيها شــيىء بعد!! وعندها فحتى عندما تأتيه أمه وتعطيه حنانها يبكى ويصــرخ ولا يسـكت حتى تشـــغل لــه هـذا الجهـاز ســـواءا كـان تليفزيون أو كمبيوتر أو أيـا من الأجهزة!

وهنا تخطأ الأم خطأً فادحا بأنها وبيديها تضـــع إبنها على أول طريق الإنكفاء والإنطواء على نفســه! وتربِّيه دون أن تدرى على أن يسـتغنى عن الحقيقة " بالواقع الإفتراضــى" المزيف! حتى إذا شبَّ وكبر وانعزل عن المجتمع واكتفى بالكمبيوتر والنت فى غرفته! أخذنا نصرخ نبحث له عن العلاج!

والتحذير الثالث هنا ، ناهيك عن أن الأضـــرار التى تســببها هذه الأجهزو من آشــعة أو إشـعاعات وتأثيرها على عقول وأبصـار الأطفال وسـمعهم! وكل هذا مازال العلم لم يحسـم كلمته فيها بعد – وهو لن يفعل إلا بعد سنوات عديدة عندما تكون مصائب جمَّة قد وقعت!! وعموما فإن العلم ينصـح بالحذر منها ولكن شـركات التصـنيع والبيع والتسـويق العالمية تنجح فى خداع أية أمهات أو آباء ولوكانوا متعلمين بما يتقنون من حيل الكذب والخداع لأنها لا يهمها مطلقاً سـوى الربح! ، فإنتبهوا أيها الآباء!

والتحذير الرابع؛ أن تلك الأجهزة تعرض الكثير من الأغانى والمسـليات المخصـصـة للأطفال لتلهيهم وغالبيتها من المنتوج الغربى الذى لا يعنيه أن أطفالنا مسـلمون! – والطفل الذى نظنُّ كآباء أنه لا يعى ما حوله هو حقيقة أفضل جهاز كمبيوتر أو تسجيل فى الوجود- بل والأدهى من ذلك أن فيها مسـليات كثيرة صـنعت خصـيصـا لأطفال بلاد العرب والمسـلمين لتبهر الأهل بجودتها وجمال روعتها وتأثيرها لإلهاء الأطفال! وفيها سـموم فكرية وعقائدية أعدَّها علماء متخصـصـون ليطبعوا فى ذاكرة الطفل فى مهده ما يجعله يميل للأشـياء الغربية أو يتعوَّد الألفاظ الغير إسلامية!

وتلقائيا يصـير عند الطفل رفض لا إرادى لو أردت أن تسـمعه القرآن أو تجعله يأنس بصـوت ذكر أو تسبيح أو حتى الآذان! فيشـب وفيه ميلٌ لهذه التسـالى الغربية! وعنده كرهٌ ونفورُ لما يقرِّبه من دينه! بل وللأسف فكثير من المسلمات يقلن لا تعقدوا الأطفال وهم صـغار بسماع ما يقربهم من دينهم! وهم مرة ثانية وثالثة لا يدرون أن بهذا يزرعون أول أسـافين كره الدين وسماع صوت آيات القرآن فى عقول أبنائهم الغضة اللينة!

ونحن لا ننادى بمنع المواد السمعية والبصرية القادمة من الغرب! ولا بتحويل مواد الأطفال إلى الدينية! ولكننا ننادى بترشيد ما يستورد منها وبتوجيه الوالدين المسلمين ليعلموا ماذا يبتاعون أو يضعون فى عقول أبنائهم وهم لا يدرون! ولا ننسى أن نوجه السادة المنتجين المسلمين لمثل تلك المواد أنَّه لابد مع مواكبة حداثة الأجهزة أن يكون هناك أيضاً تحديث للمواد العلمية الموجهة لغرس حبّ الله والنبى والدين فى عقول أبنائنا وهم أطفال!

وهذه المهمة ليست سهلة وتحتاج تضافر رجال الفكر والدين والإقتصاد لأن إنتاج الدقيقة الواحدة من رسوم الأطفال الناطقة ببتلك التكنولوجيا التى تسحر ألباب الأطفال تكلف أكثر من عشرة ألاف دولار؛ وللأسف أن غالبية المواد الإسلامية المتاحة فى الأسواق والموجهة إسلاميا لا تعدو أن تكون محاولات فردية أو جماعية بينها وبين ما ينتج الغرب لأطفالهم – أو لحرب أطفالنا -كما بين السماء والأرض!.ولا تعدو أيضا أن تكون شرائط لأناشيد إسلامية أو أفلام متحركة للأطفال وليس فيها ما يصلح للأجهزة الحديثة ولا لمناطحة ذلك الغزو الفكرى لعقول أطفالنا! فأفيقوا أيها الآباء والمستوردون والمنتجون المسلمون!

الحياة الحديثة وجليسات الأطفال.

وهنا ومع التطور الذى شمل جميع نواحى الحياة وكثرة خروج المرأة للعمل، كثرت حاجة النسـاء لجليسـات الأطفال أو مربيات الأطفال، أو إرسـالهن للحضـانات التى تقبل حتى الرضـع منهم.

وأول نقطة أوضحها أن العلاقات الإجتماعية أصابها الإضمحلال وتفشت الأنانية فيها فبعد أن كانت الأم يمكنها الإستعانة ببعض أقاربها لتعاونها فى العناية برضـيعها أو طفلها عند اللزوم؛ أصبح الكلٌّ اليوم يتنصلون من مثل تلك الخدمات، ويقولون عندنا مايكفينا من المشاغل، فأضحت الحاجة للمربيات أو الحضـانات قوية وإضـطرارية أحياناً! فاستعنا بهن ثمَّ كثر التفاخر بالمربيات الأجنبيات الغير مسـلمات ولا يهم ماذا سـتعلِّم الطفل؟ وأسـألوا أهل الخليج عن المصـائب جرتها عليهم تلك المظاهر! هذه واحدة!

والثانية هى دور الحضـــانة الأجنبية التى تعلم الطفل لغة وأغانى أجنبية، ولا يعلمونه لفظاً إسلامياً ولا خلقاً نبوياً، بل ويبثُّون فيه الضدَّ على أنه الرقى والتطور! ويفرح الأهل بل ويساعدونه بتكرير الألفاظ الأجنبية! وطبعاً فالأمر كله يغلف فى مظهر خادع ومسالم! وتبدأ مصـائب التنشئة الغير سـوية تتسـلل لنفوس أطفالنا بأيدينا نحن الأهل! علماً بأن الغرب لا يسـمح بتعليم الطفل لغة غير اللغة الأم لسـنوات حتى يتقن لغته ويعرف هويته! فيجب أن نتخيَّر أين نضـــع أبنائنا إذا أضـطررنا لذلك ونعرف أنهم فى حاجة أشـد لتعويض الحنان الحقيقى الذى يفقدونه حتى نضـمن سلامة نشأتهم التى لن تتكرر مرة أخرى!!

والأمر جد واسع ولكن المقام لا يتسع لذكر أطراف قضية الرعاية وتأثرها بالحياة الحديث من طعام ودواء وألعاب ووســائل إتصـــال وتســلية وغيرها ثم المدارس بأنواعها والصـــداقات وأشكالها وغيره الكثير والكثير.

تهذيب الصبي

ومع مراقبة الوالدين الفاحصة أوصى الإمام الغزالي الأب أو المربي :

- أن يتجاوز عن المخالفة التى يحدثها الصـبي، فلا يهتك سـتره ولا يكاشـفه، ولا سـيما إذا سـترها واجتهد في إخفائها، لأن إظهار ذلك عليه ربما يزيده جسـارة حتى لا يبالي بالمكاشفة، وإن عاد ثانية عوتب سرًا، ويهدده بالعقاب إن تكررت مخالفته.
- وألا يكثر عليه من اللوم في كل حين، فإنه يهون عليه سـماع الملامة، وركوب القبائح، ويسقط وقع الكلام في قلبه.
- وأن يكون الأب حافظًا هيبة الكلام معه ولا يوبخه إلا أحيانًا، كما يوصـي بأن تكون المؤاخذة بالتعريض لا بالتصريح حتى لا يجرح إحساسه ويغريه بالعناد.

فإذا لم يفد ذلك صـرح بالإنكار وعاقب بما يراه وهذا مأخوذ من هدي النبي ﷺ ، فإنه كان إذا راى تقصـيرًا من بعضـهم نبه عليه بالعنوان العام، أو بعدم تحديد الشـخص الذي وقعت منه المخالفة، فقد قال رسول الله ﷺ :

(ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في صلاتهم)، (كان رسول الله ﷺ إذا كره من إنسان شيئاً قال: ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا) [٢٣].

٢٣ الحديث الأول: رواه البخاري عن أنس بن مالك، والحديث الثاني رواه أبو داود عن عائشة .

نصيحة لقمان لإبنه

ونسوق هنا نصيحة لقمان الحكيم الجامعة لولده حيث يقول له: يا بني خذ عني هذه الخصال الثمان:

الأولى: إذا كنت في الصلاة فاحفظ قلبك.

الثانية: إذا كنت بين الناس فاحفظ لسانك.

الثالثة: إذا كنت في نعمة فاحفظها بالشكر والأدب.

الرابعة: إذا كنت في دار غيرك فاحفظ عينيك.

الخامسة: كن ذاكرًا لله الخالق الحي الذي لا يموت.

السادسة: كن ذاكرًا للموت لأنه كأس يشربه الجميع.

السابعة: كن ناسيًا إحسانك إلى الآخرين.

الثامنة: كن ناسيًا إساءات الآخرين إليك.

يا بني لا تذكر آلامك للآخرين فأغلبهم لا يهتم بها، اعتبر بمن مضى قبلك، ولا تكن عبرة لمن يأتي بعدك، صل من قطعك، وأحسن إلى من أساء إليك، وقل الحق ولو على نفسك. العظيم من يبتسم عندما تكون دموعه على وشك الانهيار)[٢٤].

٢٤ عن كتاب (الإسلام ورعايته للطفولة) للشيخ منصور الرفاعي عبيد ص ٢٢

تدليل الصبي

يحث الإســلام على تدليل الطفل بأنواع التدليل المختلفة المقبولة، لإيناســه وربط قلبه بمن حوله، ويرغب الكبير أن يتنزل إلى درجة ملاعبة الأطفال ليكون معهم بقلبه وعواطفه وتصرفاته بعض الوقت وقد روي أن جبلة بن سحيم دخل على معاوية بن أبي سفيان وهو في الخلافة، فرأى في عنقه حبل يقوده به صبي له، فظهر على وجهه الاستنكار، فلما رأى معاوية ذلك قل له: يا لكع إني سمعت رسول الله ﷺ يقول:

{ مَنْ كَانَ لَهُ صَبِيٌّ فَلْيَتَصَابَ لَهُ }[25].

وكان النبي ﷺ يُدَلِّلُ الحسن والحسين وأسامة بن زيد فقد روى البخاري عن أسامة قوله:

{ كان رسول الله ﷺ يأخذني فيقعدني على فخذه، ويقعد الحسن على الأخرى }، وروىأحمد عن عائشـــة: { أن أســـامة عثر بعتبة الباب فدمي. قال: فجعل النبيّ ﷺ يمصُّـــه (وفى رواية ثم يمجُّه)، ويقول: لَوْ كَانَ أُسامَةُ جارِيَةً لَحَلَّيْتُها وَلَكَسَوْتُها حَتَّى أُنْفِقَها }

وروي عنه ﷺ أنه بينما كان يصلي بالناس إذ جاء الحسين فركب عنقه وهو ساجد فأطال السجود حتى ظنَّ الناس أنه حدث أمر، فلما قضى صلاته؛ قالوا: لم أطلت السجود يا رسول الله حتى ظننا أمراً حدث! فقال:

{ إنَّ ابْنِي ارْتَحَلَنِي فَكَرِهْتُ أَنْ أُعَجِّلَهُ حَتَّى يَقْضِي حَاجَتَهُ }[26]

هذا هو الأدب النبوي الذي يعلمه لنا رسول الله ﷺ وهو في الصلاة، ولذلك فقد تعلق به ﷺ الصبيان، وكانوا يتلمسون موضعه، فقد ذهب إليه الحسن في ليلة شاتية والجو مظلم، وبعد أن أخذ حظه هم بالذهاب إلى أمه، فاســـتأذن رجل من أصـــحابه ﷺ في مصـــاحبته فقال ﷺ : دعه فإذا بمصباح من نور يضـئ أمامه وهو يمشـي خلفه حتى وصل إلى أمه وقد كان عمره إذ ذاك ثلاث سنوات.

٢٥ أخرجه ابن أبي الدنيا وابن عساكر
٢٦ رواه النسائي والحاكم وأحمد عن شداد بن الهاد عن أبيه

وأيضـا كان ﷺ يخطب على منبره وإذا بالحسـن يدخل المسـجد ويتوجه إلى رسـول الله ﷺ، وهو يقول أبي أبي فنزل ﷺ من فوق منبره واحتضـنه وقبله ثم حمله وصـعد المنبر وأكمل خطبته وهو يحمله. ليعلمنا الرحمة والشفقة والعطف والحنان ﷺ.

ولذلك لما جاء أحد الأعراب القسـاة ورآه ﷺ يقبل الحسـن فقال: أتقبلون الصـبيان يا رسـول الله، إن لي عشرة من الولد ما قبلت أحدًا منهم قطَّ، فقال له النبي ﷺ وموجهاً الأمة كلها:

{ من لا يرحم لا يرحم }[٢٧]. وفي رواية أخرى : **{ أو أملك أن نزع الله من قلبك**

٢٧ رواه البخاري عن أبي هريرة، والرواية عن عائشة

وإن كان هنا أدبٌ عالٍ يجب أن نشــير إليه، وهو أن الســيدة فاطمة ﵂ كانت تحرص على طهارة أولادها الحسن والحسين، لعلمها بشدة تعلُّقهم برسول الله ﷺ، حرصًا منها على دوام طهارة ثيابه.

والحق أن هذه الملاطفة تهب الطفل دفئاً وحناناً يظهر أثرهما على صــحته، وتعلُّقه بوالديه ومحبَّته لهما. ويصـــف ذلك الأحنف بن قيس حين ســـأله معاوية عن رأيه في الولد فقال: (ثمار قلوبنا، وعماد ظهورنا، ونحن لهم أرض ذليلة، وســماء ظليلة، وبهم نصـــول على كل جليلة، فإن طلبوا فاعطهم، وإن غضبوا فارضـهم، يمنحوك ودَّهم، ويَحْبُوك جهدهم، ولا تكن عليهم ثقلاً ثقيلاً فيملُّوا حياتك، ويحبُّوا وفاتك، ويكرهوا قربك) [٢٨]

على أن يحرص الوالدين على ألا يصـــل التدليل بالطفل إلى الفســـاد والإنحلال فالأمر كما قال القائل:

قَسَى لِيَزْدَجِرُوا وَمَنْ يَكُ حَازِماً   فَلْيَقْسُ أَحْيَاناً عَلَى مَنْ يَرْحَمِ

فالوسط هو المحمود في كل شئ، فلا بد مع اللين والرحمة من شئ من الشدة إذا لزم الأمر وذلك يقتضـــي من الوالدين مراقبة الطفل بدقة في كل تصـــرفاته لتقديم التوجيهات المناســـبة في الوقت المناســـب، لأن الإهمال يغري الطفل بالتهاون، والنفس تميل إلى الراحة والإنطلاق من القيود، والغرائز عند الناشئين قوية، والمقاومة العقليه ضعيفة عندهم.

ولذلك فالرسول ﷺ، مع شدة رحمته بالأولاد عندما التقط الحسين تمرة من الصدقة ولاكها فى فمه قال له: كخ كخ ليطرحها، وأخذها منه وأبعدها[٢٩]، وفيما روى: أيضاً من السنة المطهرة

{ قدمت على أهلي ليلاً وقد تشـققت يداي. فخلقوني بزعفران، فقابلت الرسـول ﷺ صباحًا فسلمت عليه فلم يرد السلام ولم يرحب بي. وقال: اذهب واغسل عنك هذا؛ فغسلته ثم جئته فسلمت عليه فَرَدَّ عليَّ ورحَّبَ بِي } [٣٠]

---

٢٨ [العقد الفريد ج ١ ص ١٩٦].
٢٩ رواه البخاري ومسلم.
٣٠ أخرجه أبو داود عن عمار بن ياسر ﵁

وقد جاء في وصية الرشيد لمؤدب ولده:

(ولا تمعن في مسامحته فيستحلى الفراغ ويألفه، وَقَوِّمْهُ بالتقريب والملاينة فإن أبى فالشدة).

وهكذا فالطريق في رياضة الصبيان والاهتمام بتربيتهم من أهم الواجبات وأعظمها شأناً وأروعها قدراً وأثراً، لأن تربية الطفل أهم شئ في هذه الحياة، وأكبر دعامة في بناء الأجيال، ومستقبل الآمال، وقيام مجتمع صالح تعتمد عليه الروحانية الإسلامية، وتقوم به الأخلاق الحسنة.

والصبي أمانة عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة في يديهما قابل لكل نقش، مائل لكل صورة فإن عوَّده الخير وعلَّمه نشأ عليسه وتربَّى خير تربية يسعد بها في الدنيا والآخرة وشاركه في ثوابه أبواه وكل من اشترك في تلقينه الفضيلة وتوجيهه إلى هذه الناحية من نواحي الحياة الدينية والسعادة الروحية، وإن عودته الشر وتركته فيه وأهملته في مراتع السوء ومزالق الشرور شقي وهلك وكان الوزر في عنق القيّم عليه والمتولي أمره.

فينبغي أن تعوِّد الطفل على الفضيلة، ونربِّيه على محاسن الأخلاق وجميل الصفات، ولا تتسامح معه في ترك الصلاة والصيام وسواهما من الواجبات الشرعية، ولا تدعه يتخبط مع الصبيان في ميادين اللهو واللعب ونوادي الفحشاء والمنكر وغيره من رذائل الأخلاق، وما استحدث فى عصرنا من الكافيهات ..؛ ثم كافيهات الإنترنت وما تفتحه من دهاليز الفواحش ثم مصايب التشات بالصوت والصورة والتى أصبح يتقنها الأطفال الصغار قبل الكبار!! فنلاحظ ونتابع حتى يبلغ وتتمتع سنه بالحكمة والعقل، ولا ننسى بالطبع التنبيه إلى مخاطر الكمبيوتر والإنترنت، وقد أصبحت بيوتنا لا تخلو منهم بحال!!

ومن الأمثلة الطيبة للمتابعة في هذا المجال ما يرويه ســـهل بن عبد الله عن نفســـه حيث يقول: كنت وأنا ابن ثلاث سـنين أقوم بالليل فأنظر إلى صـلاة خالي محمد بن سـوار فقال لي يومًا ألا تذكر الذي خلقك؟ فقلت: وكيف أذكره؟ قال: قل بقلبك عند تقلبك في ثيابك ثلاث مرات من غير أن تحرك به لسانك:

" الله معي، الله ناظر إليّ، الله شاهد عليّ "

فقلت ذلك ليالي ثم أعلمته فقال: قل في كل ليلة ســـبع مرات، فقلت ذلك ثم أعلمته فقال: قل ذلك في كل ليلة إحدى عشـــر مرة، فقلته فوقع في قلبي حلاوته، فلما كان بعد ســـنة قال لي خالي: إحفظ ما علمتك ودُمْ عليه إلى أن تدخل القبر، فإنه ينفعك في الدنيا والآخرة.

فلم أزل على ذلك سنين فوجدت لذلك حلاوة في سري، ثم قال لي خالي يومًا: يا سـهل من كان الله معه وناظر إليه وشـاهده أيعصـيه؟ إياك والمعصـية. فكنت أخلو بنفســي، فبعثوا بي إلى المكتب فتعلَّمتُ القرآن وحفظته وأنا ابن ست سنين، وكنت أصوم الدهر، وكنت أقوم الليل كله.[٣١]

،فتعود الطفل على الأخلاق الفاضـــلة وطاعة الله تعالى منذ نعومة أظافره تكســـب ســـعادة الدنيا والآخرة.

[٣١] من كتاب النفس أمراضها وعلاجها في الشريعة الإسلامية لمحمد الفقي ص ١٦٢

تقويم الصبي

إن منهج التربية الإسلامية يربِّي الناس على الخوف مما ينبغي لهم أن يخافوه، والتعلُّق بما ينبغي أن يتعلَّقوا به، وينفي عن القلب البشـــري الخوف مما لا ينبغي أن يخاف، والتعلق بما لا ينبغي التعلق به.

يربيهم على الخشـــية والتقوى لله، والخوف من عذاب الله وغضـــبه المؤدي إلى العذاب، وعدم الخوف من شئ أو على شئ آخر. ويربِّيهم على التعلُّق بالله، وطلب العون منه وحده لا من أحد من خلقه، والتعلُّق بالآخرة ونعيمها، ورضوان الله المؤدي إلى النعيم، وعدم التعلُّق بما يشغل الإنسان عن هذا الأمرن، ومن النماذج الطيبة في ذلك ما روي:

{ أنَّ عمر بن الخطاب ﷺ مرَّ على صبيان يلعبون، فلما رأوه نفروا من هيبته، ما عدا عبد الله بن الزبير، فسأله عمر: مالك لم تبرح كما فعل أقرانك؟ فأجابه ما الطريق ضيقةٌ فأوسِّعها لك! ولا لي ذنبٌ فأخافه }[٣٢]

ومن هنا تكون التربية بالمثوبة والتربية بالعقوبة وسـيلتين أسـاسـيتين من وسـائل التربية للإنسان ـ كل إنسان ـ والطفل أولى بطبيعة الحال.

ففي المرحلة الأولى تكون عملية التشـجيع للطفل ضـرورية دائمًا، لأن الأعمال التدريبية التي يقوم بها ليستكمل نموه كالمشي والوقوف والكلام شاقة ومجهده، ولا بد من حفزه عليها حفزًا لكي لا يتوقف نموه.

والتشـجيع قد يكون بابتسـامة، أو بقبلة حانية من الأم أو الأب، أو بالتربيت على جسـمه أو بإحداث ضـــجة كبيرة حول الطفل يشـــعر فيها بالاهتمام الشـــديد به وبجوِّ المودة حوله، أو بلعبة تعطى له كمكافأة على الجهد الذي بذله، أو بشـــئ من الحلوى والطعام، أو بأي شـــئ مما يعرف الوالدان من دراستهما لطفلهما أنه محبَّبٌ إليه ومن ثمَّ فهو مشجِّعٌ له.

---

٣٢ تنبه النائم الغمر على مواسم العمر لأبي الفرج بن الجوزى

التقويم بالعقوبة

أما العادات السـيئة التي يتعرض لها الطفل، وهي كثيرة فلا بد من إبطالها ولو كا في ذلك مشـقة على الطفل وعلى والديه كذلك، والخوف من إزعاج الطفل أو مضـايقته بمنعه عن عاداته السـيئة المحببة إليه، أو الخوف عليه من تأثير عملية الزجر على مشـاعره وأعصـابه، معناه أننا سنتركه لعاداته السيئة تلك، تستفحل وتستعصي على العلاج فيما بعد، أو تترك آثارًا مفسدة في شخصيته في المستقبل.

ويرد الأسـتاذ محمد قطب [في كتابه (منهج التربية الإسـلامية) جـ٢ ص ١٣٩] على الدعاوي التي سـببتها النظريات التربوية الحديثة التي تعتمد على التربية بالمثوبة وحدها دون التربية بالعقوبة فيقول:

(ولكن التشـجيع وحده قد لا يكفي، ولا يشـغله عن العادات السـيئة بأخرى، إذ تكون العادة السيئة أشد تأصلاً في نفسه، أو يكون هو أشدُّ تعلُّقًا بها بحيث لا يلهيه شغله عنها ولا تشجيعه على تركها، عنندئذ لنا عندنا خيار عن صـرفه عنها بالزجر اللين في بادئ الأمر، ثم الحاسـم في نهاية الأمر، ولو أدى ذالك إلى استخدام العقوبة البدنية في نهاية المطاف، ذلك أنه من المحتم – لصالحه هو نفسـه – أن يكف عن هذه العادات السيئة، ولا بد من الوصـول إلى إبطالها بأي وسـيلة، فإذا لم تجد الوسـائل اللينة كلها فما العمل إلا استخدام وسيلة خشنة!.ولا خوف على الطفل من العُقَدِ، ولا الكَبْتِ، ولا ضمور الشخصية، ولا شئ مما تلوكه النظريات المريبة كلها ما دام الزجر أو العقاب لا يتجاوز الحد المعقول. والحد المعقول تحدده حكمة المربي وخبرته، وتقرره كذلك طبيعة الطفل ذاته).

ثم إن التشجيع الذي تريد تلك النظريات المريبة أن تجعله هو الوسيلة الوحيدة للتربية، ليس سـلاحًا مأمونا في كل حالة ولأي مدى من الزمن بلا حدود بل إن له مخاطر، وينبغي الكف عنه بمجرد أن تظهر هذه المخاطر.

وأكبر المخاطر فيه أن يتحول عند الطفل إلى شـــرط للقيام بالعمل المطلوب أو الكفِّ عن العمل غير المرغوب، أي أنه يمتنع عن الإتيان بالعمل إذا لم يجد حافزًا عليه، أو يمتنع عن الكف عن عمل سيئ حتى يقبض الثمن للكف. هنا تصبح المثوبة شرًا خالصًا لا خير فيها، لأنها تعوق الإحســاس "بالواجب"، الواجب الذي ينبغي أن يعمل لأنه واجب في ذاته لا لأنه هناك أجر عليه. وهذا تعويق للنمو النفسي، وإفساد كذلك للشخصية).

وهكذا فينبغي أن ننتقل بالتشجيع درجة درجة مع مراحل النمو العقلي والنفسي للطفل حتى ينتهي إلى أعلى درجاته، وهى العمل ـ أو الكف عن العمل ـ إبتغاء مرضاة الله، ودرجات التشجيع: ..

- في البداية تكون الحلوى أو اللعبة أو النقود أداة التشجيع.
- ثم يرتقي التشجيع درجة فيصبح: من أجل أن تحبَّك أمك أو أن يحبَّك أبوك.
- ثم يرتقي درجة أخرى فيصبح: من أجل أن تكون ولدًا طيبًا (أو بنتًا طيبة) ويحبَّك أبوك وأمك ويقول الناس إنك طيب.
- ثم يرتقي إلى درجته العليا فيصـبح: من أجل أن تكون طيبًا ويحبَّك الله ويرضــى عنك ... وعلى هذه الصورة ينبغي أن يظل حتى يلقى الله.

أما العقوبة فلا نلجأ إليها ابتداءًا، إنما نبدأ بالتشـــجيع، ولا نلجأ إليها أبدًا إلا حين يفشـــل التشجيع أو يبدأ يدخل في الدائرة الضارة، حين يصبح شرطًا مشروطًا لا يتم العمل أو الكف عن العمل إلا به،

والعقوبة درجات:

- تبدأ من الكف عن التشـجيع (وهذه في ذاتها عقوبة لمن كان يتلقى التشـجيع من قبل).
- إلى الإعراض المؤقت وإعلان عدم الرضا.
- إلى العبوس والتقطيب!! والزجر بصوت غاضب.
- إلى المخاصمة الطويلة والمقاطعة (أو التهديد بها أو بهما).
- إلى الحرمان من الأشياء المحببة إلى الطفل (أو التهديد به).
- إلى التهديد بالإيذاء.
- إلى الضرب الخفيف.
- إلى الضرب الموجع وتلك أقصى الدرجات.

ولا ينبغي تخطي ذلك التدرج، والبدء بالنهاية، وهي الضـرب سـواء كان خفيفًا أو موجعًا حتى لا يتعود الجسم على الأذى فلا يعود يتأثر به كثيرًا، وعندئذ نكون قد فقدنا كل وسائلنا الفعالة دفعة واحدة! لأن من يتبلد حسُّه على الضـرب – وهو أقسـى العقوبات – لا يزجره ولا يؤثر فيه وَجْهٌ عابس ولا صـوتٌ غاضـب ولا حرمانٌ ولا تهديدٌ بحرمان. وعندئذ ماذا نفعل؟!! وهذا خطر الإسراف في العقوبة، والضرب بصفة خاصة.

إن العقوبة تظل شيئًا مرهوبا قبل تنفيذه، ثم يكون لها وقعها الكامل في أول مرة تنفذ، ولكن إن تكررت في المدى القريب تظل تفقد شـيئا من تأثيرها كل مرة، حتى يعتادها الحس وتصـبح بغير تأثير، ومن ثم تصبح بغير فائدة.

ولذا فينبغي أن يسـتهدف المربي الإصـلاح الحقيقي ويبحث عن الوسـائل الفعالة الموصـلة إليه، ويكف عن الوسيلة إذا ونجد أنها لا تؤدي إلى الإصـلاح المنشـود، أو وجد أنها – بدلاً من أن تصلح – تزيد الفساد.

العقاب بالضرب في الإسلام

وعن حكم الإسلام في العقاب بالضرب يقول الشيخ عطية صقر [في كتابه (تربية الأولاد في الإسلام) ص ٣٣٣]:

(والعقاب بالضــرب موجود منذ القدم في تأديب الأولاد في البيوت والمدارس وقد رخَّص به الإســلام في ضــرب الزوجة الناشــز إذا لم تفلح الموعظة والهجر، وكما تقدم في حديث الأمر بالصلاة والضرب عليها:

{ مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع }[٣٣]

غير أنه ينبغي ألا يكون الضرب مبرحًا، وأن يستعمله عن من لا يقومّه إلا ذلك ، وقد دخل ولد لعمر بن الخطاب عليه وقد ترجَّل (مشَّط شعره) ولبس ثيابًا حسنة، فضربه بالدرة حتى أبكاه، فقالت حفصة:

{ لِمَ ضربته؟ فقال: أَعْجَبَتْهُ نَفْسُهُ فأحببتُ أن أُصغرها إليه }

وجاء في فتوى نشرت بمجلة الأزهر أن النبي ﷺ قال لمرداس المعلم:

{ إياك أن تضرب فوق الثلاث، فإنك إن تضربه فوقها اقتص منك }.

واستنتجت الفتوى جواز الضرب بما جرت به العادة، وألا يكون على المَقَاتِل أو الوجه أو الرأس، وألا ينشأ عن ذلك ضرر كتشويه لحم أو كسر عظم، فإن حصل منه شئ من ذلك ضمنه المعلم، إذ لا يزال الضرر بالضرر، هذا وقد قال العلماء: ينبغي أن يكون العقاب جزاء على عمل غير أخلاقي، لا لدافع شخصي ينتهز المؤدب فرصة غلط الناشئ فيتشفى فيه بضربه أو عقابه، كما يردُّ ابن حجر الهيثمي المتوفي ٩٧٤ هـ على أحد مؤدبي الأطفال ويقول:

---

٣٣ رواه أبو داود بإسناد حسن عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده

(بأنه لا يجوز للمعلم ضـرب الصـغير إلا أذا أذن له أبوه. ثم يشـترط في جوازه للمعلم أن يظُنَّه زاجرًا للتلميذ إذا اقتضـت الضـرورة، وألا يكون مبرحًا فإذا ظن المعلم أن التلميذ لا ينفعه إلا الضـرب المبرح ـأى الشـديد الأذى فلا يجوز إجماعًا، ويعلل ذلك بأن العقوبة إنما جازت بالنسـبة للصبي لظن أنها تفيد الإصلاح، فإذا كان الضرر سيأتي منها انتفت).، وقال ابن خلدون[34]: ينبغي للمعلم في متعلميه، والوالد في ولده، ألا يشتدوا عليهم في التأديب .

وقد قال أبو محمد ابن أبي يزيد[35]: (**لا ينبغي لمؤدب الصـبيان أن يزيد في ضـربهم إذا احتاجوا إليه على ثلاثة أسواط شيئاً**). ومن كلام عمر ﷺ:

{ مَنْ لَمْ يُؤدِّبْهُ الشَّرْعُ لا أَدَّبَهُ اللهُ } حرصًا على صون النفوس عن مذلَّة التأديب، عِلْماً بأن المقدار الذي عيَّنه الشرع لذلك أملك له، فإنَّ الشرع أعلم بمصلحته.

وقد أرسل شريح القاضي مع ولده كتابًا إلى معلمه يشكو فيه لعبه بالكلاب[36]، جاء فيه:

تَرَكَ الصَّلاةَ لأَكْلُبٍ يَسْعَى لَهَا   طَلَبَ الهراشَ مع الغِوَاةِ الرُّجسِ
فَإِذَا أَتَاك فَعُضَّهُ بِمَلامَـــةٍ   وَعِظْنَهُ مَوْعِظَ الرَّفِيقِ الأَكْيَسِ
وَإِذَا هَمَمْتَ بِضَرْبِهِ فَبِدُرَّةٍ   فَإِذَا بَلَغْتَ بِهَا ثَلاثــاً فَاحْبِسِ

فإذا تقررت هذه المبادئ بوضوح لم نلتفت إلى الصيحات الحديثة التي تريد أن تُحَرِّم العقاب لكي لا تتعقد نفس الطفل ولا يصيبه الكبت، فتصيبه من الناحية الأخرى بالميوعة والتحلل!!

---

٣٤ في مقدمته ص ٣٩٩
٣٥ كتاب: حكم المعلمين والمتعلمين.
٣٦ المحاسن للبيهقي جـ ٢ ص ٢١٦ والعقد الفريد جـ١ ص ١٩٦

فإنَّ وضــع قاعدة مســبقة بتحريم العقوبة الحسـيَّة أو تحريم العقوبة مطلقًا مُفْسِـدٌ في التربية، كوضع قاعدة مسبقة بضرورة استخدامها في كل حالة ولو لم تدع الضرورة إليها.

والمربي الحكيم يدرس حالة الطفل الذي بين يديه، ويقدر من دراســته لظروفة الخاصــة، إن كان ممن تصـــلح له المثوبة أو العقوبة أو المداولة بين هذه وتلك. وبذلك نضـــع الأمر في نصـــابه ونعطي ـ على هدى المنهج الرباني ـ كل ذي حق حقه، آخذين في اعتبارنا الفوارق الفردية بين طفل وطفل، والتي تقرر مقدار الجرعة اللازمة من المثوبة ومن العقوبة.

الفصل الثالث

تنشئة الطفل المسلم

أولا: الإعداد البدني

وسائل إعداد الفرد بدنيًا

- الرعاية الصحية
- أكل الطيبات
- الرياضة البدنية

ثانيا: الإعداد العقلي

- التعليم
- التأمل والتفكير

ثالثا: الإعداد الروحي

- العناية بالفضائل
- القدوة الطيبة
- التدريب على العبادات
- الآداب الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾

(١١- التحريم).

الفصل الثالث

تنشئة الطفل المسلم

قسَّم الإسلام مراحل تربية الأولاد إلى ثلاث مراحل:

١. من لحظة ميلاده إلى سن السابعة (الطفولة).

٢. من سن السابعة إلى سن الرابعة عشر (الصبوة).

٣. من سن الرابعة عشر إلى سن الإحدى والعشرين (الشباب).

وذلك في الأثر الوارد عن الإمام علي ﷺ والذي يقول فيه:

{ لاعبه سبعاً، وأدبه سبعاً، وصاحبه سبعاً }[٣٧]

وقد تحدثنا عن المرحلة الأولى في الفصــلين الســابقين وســنتحدث في هذا الفصــل عن المرحلة الثانية والتى تبدأ من سن السابعة إى وقت البلوغ.

وطريقة الإســلام في معالجة هذه المرحلة وما بعدها هي المعالجة الشــاملة لكل الدوافع والغرائز التي تسيطر على حواس الإنسـان، وتنمية كل القوى المدركة في باطن الإنسـان ويشمل ذلك إعداد الطفل بدنيًا وعقليا وروحيًا، حتى يكون عضواً نافعاً لنفسه ولأمته.

وقد أفرد الإمام الغزالي لهذه الحقوق، جزءاً خاصــاً قدم له بواجب الآباء والمربين في توجيه أبنائهم لتحسين أخلاقهم فقال:

---

٣٧ رواه أبو الشيخ ابن حبان عن أنس

(اعلم أن الطريق في رياضة الصبيان من أهم الأمور وأوكدها، والصبي أمانة عن والديه، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجه خالية عن كل نقش وصورة، وهو قابل لكل ما نقش، ومائل إلى كل ما يمال به إليه، فإن عُوِدَ الخير وعلمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة، وشاركه في ثوابه أبوه وكل معلم له ومؤدب، وإن عود الشر وأهمل إهمال البهائم شقي وهلك، وكان الوزر في رقبة القيّم عليه والوالي له، وقد قال الله ﷻ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ ﴾ (١١- التحريم).

ومهما كان الأب يصونه عن نار الدنيا فبأن يصونه عن نار الآخرة أولى، وصيانته بأن يؤدبه ويهذبه ويعلمه محاسن الأخلاق ويحفظه من قرناء السوء، ولا يعوده التنعم ولا يحبب إليه الزينة والرفاهية، وأوجب أن تكون التربية من أول مراحل الصبي ونشأته وهي مرحلة الولادة والرضاعة بألا تستعمل في حضانته وإرضاعه إلا امرأة متدينه تأكل الحلال: (فإن اللبن الحاصل من الحرام لا بركة فيه، فإذا وقع عليه نشوء الصبي انعجنت طينته من الخبيث فيميل طبعه إلى ما يناسب الخبائث)[٣٨].

٣٨ إحياء علوم الدين للغزالي ج٣ ص ٧٠ وما بعدها.

أولا: الإعداد البدني

ويقصد به تهيئة الطفل ليكون سليم الجسم، قوي البنية، قادرًا على مواجهة الصعاب التي تعترضه، بعيدًا عن الأمراض والعلل التي تشل حركته، وتعطل شأنه.

والإسلام وهو يحترم الطاقة الجسمية احترامًا كاملًا، لا يتركها على حالها، ولا يطلق لها العنان! إنه ينظمها ويضبط منصرفاتها، لأنها ـ هكذا بطبيعتها- إذا تركت وشأنها لا تقف عند حد، وتدمر الكيان، فليس هم الحياة ـــ كما فطرها الله ـــ مجرد أداء المطالب البيولو جية، فحفظ الحياة على وجه الأرض ليس هو كل هدف الحياة! بلهدفها حفظها وترقيتها على الدوام، ولذلك لا يترك الإسلام الإنسان لشهواته تستعبده وتجرفه إلى حيث لا يملك لنفسه القياد بل يضبطها ويهذبها وينطفها ولكنه لا يكبتها.

فمنهج الإسلام في تربية النفس أنه لا يكبت رغائبها فيقتل حيوتها، ويبدد طاقتها، ويشتت كيانها، فلا تعمل ولا تنتج ولا تصلح لعمارة الأرض وترقيَّة الحياة، وفي الوقت ذاته لا يطلق رغائبها بلا ضوابط، لأن ذلك يبدد طاقتها من جانب آخر، يبددها في نشاط الحيوان وعلى مستوى الحيوان، ووسيلته إلى ذلك - كما قلنا - هي الضبط.

إنه يعمل على تربية القوة الضابطة وتنميتها منذ نعومة الأظفار وذلك بربط القلب البشري بالله، وخشيته وتقواه، ومراقبته في كل عمل وكل شعور وكل فكر، والتطلع إلى عطفه ورضاه، وكذلك يربط القلب باليوم الآخر، ثم هو دائم التذكير بأن هذه الشهوات ليست غاية في ذاتها، يستغرق الإنسان في طلبها والانكباب عليها، وإنما هي وسائل إلى غايات أخرى أرفع منها وأولى بالالتفات، وخذوا أمثلة على ذلك ....

فالطعام وسيلة لحفظ الأود:

{ ما ملأ آدمي وعاء شرًا من بطنه، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه } [٣٩]

والجنس وسيلة لانتشار النوع:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَآءً ﴾ [١ النساء].

ووسيلة كذلك للسكن والراحة لا للسعار والفتنة:

﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجًا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحۡمَةًۚ ﴾[٢١- الروم].

والمال وسيلة لإقامة الجماعة:

﴿ وَلَا تُؤۡتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمۡوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ قِيَٰمًا ﴾ [٥ النساء].

وطاقة القتال لجهاد الشَّرِّ في الأرض:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ ﴾ [٧٣ التوبة].

ولضمان الحياة ضد الإعتداء:

﴿ وَلَكُمۡ فِى ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُوْلِى ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾[١٧٩البقرة].

٣٩ رواه أحمد والترمذي وابن ماجه والحاكم

وهو يبعث النشاط الحيوي في إتجاهات شتى، تشمل كل كيان الإنسان، فلا تتدفق الطاقة الحيوية كلها في جانب واحد، جانب الجنس أو المال أو الطعام ... إلخ، بل يبعث النشاط في العلم والعمل، والتجارة والصناعة والزراعة، والفتح والغزو، وعمارة الأرض وإقامة الدولة وتنظيمها، وسياستها ومراقبة الأمور في المجتمع، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهي كلها أمور تستغرق النشاط الإنساني وتوزعه، وتوسع مساحته، فلا يتكتل في بقعة واحدة ويترك بقية الجوانب خواء.

وسائل إعداد الفرد بدنياً

والوسائل التي وضعها الإسلام لجعل الفرد صحيح البدن، بعيداً عن الأسقام والعلل، والتي يجب على المربي أن يأخذ بها في التربية تتلخص فيما يلي:

ـ الرعاية الصحية:

فيحرص على نظافة البدن والثوب والمكان، إذ أن النظافة ركن من أركان الصحة ودعامة من دعائمها، وأبلغ دليل على ذلك أن العبادات الإسلامية تقوم على الطهارة والنظافة وتجعل الطهارة شرطاً لصحة الدخول في العبادة وتفسد عند عدمها، وفى الحديث الشريف عن النبى النظيف ﷺ:

{ إنَّ الله نَظِيفٌ يُحِبُّ النَّظَافَةَ فَنَظِّفُوا أَفْنِيَتَكُمْ } [٤٠]

وقد مرَّ بك أن الإسلام راعى هذه الناحية في الجنين قبل أن يولد، ونبَّه إلى خطر إرضاع الطفل "الغيل"(لبن الأم الحامل)؛ لتأثيره السيئ على صحته.

[٤٠] أخرجه الترمذيُّ عن سعد بن أبي وقّاص مرفوعاً

والعناية بنظافة الطفل من أهم ما يســـاعد على حفظ صـــحته من الأمراض، وعلى تقوية جسمه، وقد ورد عن عائشة أنها قالت:

{ أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ أَنْ أُغَسِّلَ وَجْهَ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما يَوْماً وَهُوَ صَبِيٌّ، وَمَا وَلَدْتُ وَلاَ أَعْرِفُ كَيْفَ يُغَسَّلُ الصِّبْيَانُ! فَأَخَذْتُهُ فَغَسَّلْتُهُ غَسْلاً لَيسَ بِذَاكَ، فَأَخَذَهُ فَجَعَلَ يُغَسِّلُ وَجَهَهِ وَيَقُولُ: لَقَدْ أَحْسَنَ بِنَا إذْ لَمْ يَكُنْ جَارِيةً، وَلَوْ كُنْتُ جَارِيَةً لَحَلَّيْتُكَ وَأَعْطَيْتُكَ }[41]

والنبي ﷺ نَهَى عن ترك الصبيان يسيرون في الأماكن الموحشة، والأوقات التي يظن فيه الخطر عليهم، فقدقال:

{ إذَا كَانَ جُنْحُ اللَّيْلِ ـــ أَوْ أَمْسَيْتُمْ ـــ فَكُفُّوا صِبْيَانَكُمْ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْتَشِرُ حِينَئِذٍ. فَإِذَا ذَهَبَ سَاعَةٌ مِنَ اللَّيْلِ فَخَلُّوهُمْ، وَأَغْلِقُوا الأَبْوَابَ، وَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لاَ يَفْتَحُ بَاباً مُغْلَقاً. }[42]

وأمر الإسلام بتحصين الأطفال بالأمصال المعروفة لوقايتهم من الأمراض المعدية، نزولاً على عموم قوله تعالى:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ ﴾ [٧١- النساء]. وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾ [١٩٥- البقرة].

---

[41] (ع، كر) عن عائشة ﵂، جامع المسانيد والمراسيل
[42] عن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللّهِ، صحيح مسلم

وكما أمر الإســلام بتحصــين الأطفال، أمر بعلاجهم من الأمراض التي تصــيبهم بالطرق الصحيحة المعروفة لأهل الطب والخبرة، والتي يقرها الدين، وحذر من التهاون في العلاج أو من عدم المبادرة إليه، وذلك في قوله ﷺ:

٣
{ يا عباد الله تداووا فإن الله لم ينزل داءاً إلاَّ أنزل له شفاءاً، عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَه، وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَه } ٤ ٤، ٤

وروى { فَتَدَاوَوْا وَلاَ تَدَاوَوْا بِحَرَامٍ } ٤ ٤

وحذَّر الإسلام كذلك من الإلتجاء إلى الطرق غير الصحيحة وغير المشروعة، التي تقوم غالباً على الخرافات والشعوذة أو إستعمال المحرمات.

ومن أمثلة ذلك تعليق التمائم والودع والأحجبة غير المشــروعة –، وفي ذلك يقول الطبيب الأعظم للوجود قاطبة ﷺ :

{ مَنْ عَلَّقَ تميمة فلا أتم الله له، ومن عَلَّقَ ودعة فلا أودع الله له }٥، وفي رواية عائشة:.

{ من علق تميمة فقد أشرك } ٤ ٤

أما الإلتجاء إلى الله ﷻ بالدعاء، أو التوســـل إليه ســـبحانه بالقرآن وما أُثِرَ عن النبي ﷺ، وبالعمل الصالح، والجمع بينه بين العلاج المادي، فهذا أقرب للشفاء، فقد ورد في الصحيحين عن عائشة:

{أمر النَّبيُّ ﷺ أن نسترقي من العين)، وورد: { سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ يَقُولُ لَدَغَتْ رَجُلاً مِنَّا عَقْرَبٌ. وَنَحْنُ جُلُوسٌ مَعَ رَسُولِ اللهِ. فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ أَرْقِي؟ قَالَ: مَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَفْعَلْ} ٤ ٤

---

٤٣ رواه أحمد عن ابن مسعود

٤ (د) عن أَبي الدرداءِ رضيَ اللّهُ عنهُ، جامع المسانيد والمراسيل،

٤٥ حديث "فلا أتم له": رواه أحمد وأبو يعلى بإسناد جيد عن عقبة بن عامر، أما رواية "أشرك" فعن عائشة .

٤٦ صحيح مسلم عن جابر بن عبدالله

وورد في الصـــحيحين حكاية عن ســـيِّدِ الحيِّ الذي لُدغ ورقاه المســـلمون بفاتحة الكتاب، وأخذوا على ذلك أجرًا، وأقرهم النبي ﷺ عليه، وقد أورد ابن القيم [في زاد المعاد جـ٣ ص١١٨]:

{ أنَّ جبريل رَقَى النَّبِيَّ ﷺ فقال: (باسم الله أرقيك من كل داء يؤذيك، من شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك، باسم الله أرقيك}.

ومن الرُّقَى المشروعة: الإكثار من قراءة المعوذتين وفاتحة الكتاب وآية الكرسي، وما أثر عن الرسول ﷺ كثيرٌ لا يحصى؛. مثل:

{ أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ، مِنْ كُلِّ شَـيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لاَمَّةٍ }، ومثل: { أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ الله التَّامَّاتِ التي لا يُجَاوِزُهُنَّ بَرٌّ ولا فَاجِرٌ، مِنْ شَـرِّ مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّـمَاءِ، ومَا يَعْرُجُ فِيهَا، ومِنْ شَرِّ مَا ذَرَأَ في ألارْضِ، ومَا يَخْرُجُ مِنْهَا، ومِنْ شَرِّ فِتَنِ اللَّيْلِ، وفِتَنِ النَّهَارِ، ومِنْ شَرِّ طَوَارِقِ اللَّيْلِ والنَّهَارِ إلاَّ طَارِقاً يَطرُقُ بِخَيْرٍ يا رَحْمَنُ }.[٤٧]

وقد قال ابن حجر عن الرقية [في فتح الباري]:

أجمع العلماء على جواز الرقية عند اجتماع ثلاثة شروط: أن تكون بكلام الله أو بأسمائه أو بصـفاته، وباللســان العربي، أو بما يعرف معناه من غيره، وأن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها بل بتقدير الله ﷻ .

[٤٧] ا عن ابن عباس ، سنن ابن ماجة وكان ﷺ يعوذ بها الحسنين، والثانى عن عبد الرحمن بن خنبش ، مصنف بن ابى شيبه

- أكل الطيبات:

أمر الإسـلام برعاية الأبناء، ورغَّب الآباء في الإنفاق عليهم، وجعل فَضْـلَ الإنفاق كبيراً، وثوابه عظيماً، وذلك في قول النبي ﷺ:

{ دِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي رَقَبَةٍ. وَدِينارٌ تَصَدَّقْتَ بِهِ عَلَى مِسْكِينٍ. وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ. أَعْظَمُهَا أَجْراً الَّذِي أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ }[٤٨]، وقد حذر الإســـلام من إهمال هذه الرعاية لقوله ﷺ:

{ إنَّ اللَّهَ سَائِلٌ كُلَّ رَاعٍ عَمَّا اسْتَرْعَاهُ حَفِظَ أَمْ ضَيَّعَ حَتَّى يَسْأَلَ الرَّجُلَ عَنْ أهَلِ بَيْتِهِ }[٤٩]،{ كَفَى بالمَرْءِ إثْما أنْ يُضَيِّعَ مَنْ يُقِيتُ }[٥٠]، وروى مسلم: { كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْماً أَنْ يَحْبِسَ عَمَّنْ يَمْلِكُ، قُوتَهُ }.

ويقول شوقي:

ليس اليتيم من انتهى أبواه من	هذي الحياة وخلّفاه ذليلاً
إن اليتيم هو الـذي تلقى لـه	أمَّا تَخَلَّتْ أوْ أباً مَشْغُولاً

وقد حرص الإســـلام في ذلك أن يُعَوِّدَ الأبُ الطفلَ الأكلَ من الطيبات التي تُغَذِي البدن وتقويه، مع البعد عن المحرمات والإسـراف اللذين يضـران الجسـم ويعرضـانه للأمراض، قال تعالى: ﴿ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ﴾ [٣١- الأعراف]، ويرشدنا الإمام الغزالي إلى ذلك بقوله:

٤٨ رواه مسلم عن أبي هريرة
٤٩ رواه ابن حبان في صحيحه عن أنس
٥٠ رواه أبو داود وغيره عن عبد الله ابن عمروا بن العاص وصححه

(وأول ما يغلب عليه من الصـــفات شَـــرَهُ الطعام، فينبغي أن يؤدَّب فيه، مثل أن لا يأخذ الطعام إلا بيمينه، وأن يقول: (بســم الله) عند أخذه، وأن يأكل مما يليه، وأن لا يســرع في الأكل، وأن يجيد المضغ، وأن لا يوالي بين اللقم، ولا يلطخ يده ولا ثوبه)،[51] [إحياء علوم الدين ج ٣ ص٧٢]

ـ الرياضة البدنية:

وقد أولاها الإسـلام عناية كبيرة، لأنه يريد للنشء أن يكون قويًا في جسـمه كما يكون قويًا في عقله وخلقه وروحه، ففي الحديث الشريف:

(المؤمن القوي خير وأحب إلي الله من المؤمن الضعيف)[52].

وقد ذكر ابن القيم [في (زاد المعاد)] بعض فوائد الرياضة فقال:

(إن الحركة هي عماد الرياضــة، وهي تخلص الجســم من الرواســب والفضــلات بشــكل طبيعي، وتعوِّد البدن الخفة والنشــاط، وتجعله قابلاً للغذاء، وتصــلب المفاصــل، وتقوي الأوتار والرباطات، وتؤمن جميع الأمراض المادية وأكثر الأمراض المزاجية، إذا اسـتعمل القدر المعتدل منها في دقة، وكان يأتي التدبير صواباً).

ولا ننســى في هذا المقام حاجة الولد إلى اللعب والترويح عن النفس، حتى لا يحدث عنده ملل ولا ضجر ولا تبرم، وقد ورد في الأثر:

---

٥١ وقد فصلنا ذلك الموضوع في كتابنا: [مائدة المسلم بين الدين والعلم].
٥٢ رواه مسلم عن أبي هريره

{ رَوِّحُوا عَنْ النّفُوسِ سَاعَةً بَعْدَ سَاعَة، فَإِنَّ النَّفْسَ إذا كَلَّتْ مَلَّتْ، وإذا مَلَّتْ عَمِيَتْ }.

ولنقرأ مما أوصى به الإمام الغزالي المربين [في إحيائه] فيقول: (ينبغي أن يؤذن للصبي بعد الانصراف من الكُتَّاب أن يلعب لعباً جميلاً يستريح فيه من تعب المكتب، بحيث لا يتعب في اللعب، فإن منع الصبي من اللعب وإرهاقه بالتعلم دائمًا ضارٌ بمستقبله ويُبْطِلُ زكاؤه، ويمغّص عليه العيش حتى يطلب الحيله في الخلاص من الكُتاب رأساً). وما أشار إليه الغزالي بالكُتاب هو ما يساوي المدرسة في عصرنا.

ومما يدل على عناية الإسلام الشديدة بالرياضة ما جاء في أن النبي ﷺ، كان يَصُفُّ الأطفال الذين يأنسون به ويقول كما روى أحمد فى مسنده:

{مَنْ سَبَقَ إليَّ فَلَهُ كَذا وكَذا؛ فيستبقون إليه، فيقعون على ظهره وصدره، فيلتزمهم ويقبّلهم.}

وما رواه البخاري: { أن النبي ﷺ مرَّ على نفر من (أسلم) ينتضلون بالسوق – أي يتعلمون الرمي- فقال ﷺ: ارموا بني اسماعيل فإن أباكم كان راميًا، ارموا وأن مع بني فلان. فأمسك أحد الفريقين عن الرمي!! فقال رسول الله ﷺ: ما لكم لا ترمون؟ فقالو كيف نرمي وأنت معهم؟ فقال ﷺ: ارموا وأنا معكم جميعاً }.

وعنه ﷺ فيما رواه الطبراني: { كُلُّ شَيْءٍ لَيْسَ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَهُوَ لَهْوٌ، أَوْ سَهْوٌ إلاَّ أَرْبَعَ خِصَالٍ: مَشْيَ الرَّجُلِ بَيْنَ الْغَرَضَيْنِ- الرمى بالسهام أو **الجري** -، وَتَأْدِيبَهُ فَرَسَهُ، وَمُلاَعَبَتَهُ أَهْلَهُ، وَتَعْلِيمَ السِّبَاحَةِ }، ولذلك كتب عمر بن الخطاب إلى الولاة: { أما بعد، فعلِّموا أولادكم السباحة والرماية وركوب الخيل }.

وروى عنه أيضاً زيد بن حارثة أنه كتب إلى أمراء الشام وهى بلاد زرع وليست كصحراء العرب فأحبَّ أن يعلمهم أيضـــاً القوة والخشـــونة والعلم فقال:{ أَنَّ عُمَرَ ﷺ كَتَبَ إِلى أُمَرَاءِ الشَّـــامِ أَنْ يَتَعَلَّمُوا الرَّمْيَ وَيَمْشُوا بَيْنَ الْغَرَضَيْنِ حُفَاةً، وَعَلمُوا أَوْلاَدَكُمُ الْكِتَابَةَ وَالسبَاحَةَ }.

وقد روى أحمد وأبو داود: { أن النبي ﷺ ســابق عائشــة فســبقته، ثم ســابقها بعد ذلك فســبقها، فقال: هذه بتلك })، وورد: { مَنْ مَشَــى بَيْنَ الغَرَضَــيْنِ كَانَ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ حَسَنَةٌ} [53]

كذلك ورد أنه ﷺ سابق بين الخيل، وسابق بين الجمال، ونهى عن التحريش بين الحيوانات أو مصارعتها لبعضها والرياضات التى تؤذيها.

وقد صــارع النبي ﷺ، ركانة بن عبد يزيد بن هاشــم بن عبد المطلب، وكان بمكة ويحســن الصــراع، ويأتيه الناس من البلاد فيصـرعهم - فصـرعه ﷺ ثلاث مرات حتى وقف ركانة معجبًا وقال: (إن شـأنك لعجيب، وأسلم عقبها.[54]، وكذلك صـارع ﷺ أبا الأسود الجمحي فصرعه، وكان رجلاً شـديداً بلغت قوته أنه كان يقف على جلد بقرة فيشـد الجلد عشـرة لينزعوه من تحته فيتفرى الجلد ولا يتزحزح عنه.

والتكاليف الإسـلامية نفسـها يشـتمل كثير منها على رياضـات للأعضـاء، إلى جانب إفادتها قوة الروح واستقامة السلوك، فالصلاة بما فيها من طهارة وحركات لمعظم أعضاء الجسم، والحج ومناسكه، والزيارات والرحلات والجهاد والمشـي إلى المساجد، وأنواع النشـاط الإجتماعي، كلها تمرين لأعضاء الجسم وتقوية له، ما دامت في الحد المعقول.

---

٥٣ وروى الطبراني عن أبي الدرداء ، والغرضان علامتان يحدُّ بهما مجال السباق، أو يرمى بينهما الرماة بالأسهم.
٥٤ رواه الحاكم في المستدرك وأبو داود والترمذي

على أننا يجب أن نؤصـــل في نفس الطفل أن الارتباط الرياضـــي لا يكون على حســـاب واجبات أخرى يكلف بها، فلكل وقته، والاعتدال والوسطية وإيجاد التوازن مع سائر الواجبات من الأمور المطالب بها، فعليه أن يتعلم التعادل على يد المربي، اســـتلهاماً من قوله ﷺ لســـيدنا أبى الدرداء:

(يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ إِنَّ لِرَبِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقَ حَقَّهُ).[55]

هذا مع الإشارة إلى أن الإسلام لا يرضى أن نمارس الرياضة بشكل يؤذي الناس كاللعب في الشوارع الضيقة، وكذلك لا يرضى بالتحزب الممقوت لفريق أو لشخص، ويحرم المرهنات على النتائج، كما لا يبيح اشـــتراك الذكور مع الإناث في لعبة واحدة جماعية، ولا يرضـــى عن كشــف العورات بصــورة تثير الشــهوات باســم الرياضـــة، ولا يســمح بإطلاق الكلمات النابية، والتعليقات اللازعة أثناء المباريات أو بعدها وذلك للقاعدة الشــرعية الإســلامية: (لا ضــرر ولا ضرار).

---

55 عن أبي جخحيفه، (ع،خ)جامع المسانيد والمراسيل

ثانيا: الإعداد العقلي

ويقصـــد به إعداد الطفل عقليا وتهيئته كي يكون ســـليم التفكير، قادرًا على النظر والتأمل، يســـتطيع أن يفهم البيئة التي تحيط به، ويحســـن الحكم على الأشـــياء، ويمكنه أن ينتفع بتجاربه، وتجارب الآخرين.

فالإسلام دين الفطرة فهو يحترم الطاقات البشرية كلها، لأنها هبة الله المنعم الوهاب: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ [٢٣- الملك]. ولكنه يعطيها أقدارها الصحيحة، ومن ثم فهو يحترم الطاقة العقلية، ويشجعها ويربيها لتتجه نحو الخير، ويمكن تلخيص هذا الإعداد باتخاذ الوسائل الآتية:

ـ التعليم:

وقد أرشـــد الإمام الغزالي [في كتابه (إحياء علوم الدين) ج٣ ص٧٣] إلى تدعيم هذه الناحية التربوية والعقلية بقوله: (ينبغي حفظ الصبيان عن رداءة الأخلاق من كذب وحسد ونميمة، وإنما يحفظ عن جميع ذلك بحســـن التأديب، ثم يُشـــغل في المكتب فيتعلم القرآن وأحاديث الرســـول ﷺ وحكايات الأبرار، لينغرس في نفسه حُبُّ الصالحين).

وفي مقدمة ابن خلدون إشــــارة إلى أهمية تعليم القرآن الكريم للأطفال، وتحفيظه لهم، وأوضـــح أن تعليم القرآن الكريم هو أســـاس التعليم في جميع المناهج الدراســـية في مختلف البلاد الإسلامية، لأنه شعار من شعائر الدين، يؤدي إلى تثبيت العقيدة ورسوخ الإيمان. ويقول سعد ابن أبي وقاص:

{ كنا نعلِّم أولادنا مغازي رسول الله ﷺ، كما نعلمهم السورة من القرآن}

ولهذا يجب علينا أن نقف أمام المعلم الأول والمربي الحكيم مولانا رسول الله ﷺ لنتعلم منه ما يجب على المربي أن يفعله مع الطفل، إذ قال ﷺ:

{ افتحوا على صبيانكم أول كلمة بلا إله إلا الله } [٥٦]

ويقول ابن عباس رضي الله عنه : { اعملوا بطاعة الله، واتقوا معاصــــي الله، ومُرُوا أولادكم بامتثال الأوامر واجتناب النواهي، فذلك وقاية لهم ولكم من النار }، وروى الطبراني عن الإمام علي كرَّم الله وجهه أنه قال:{ أدبوا أولادكم على ثلاث خصــــال: حب نبيكم، وحب آل بيته، وتلاوة القرآن الكريم، فإن حملة القرآن الكريم في ظل عرش الرحمن يوم لا ظل إلا ظله مع أنبيائه وأصفيائه }.

فلا يجب علينا أن نترك عقول أولادنا للكمبيوتر والإنترنت والتشــــات الذين يأخذ وقتهم بالســـاعات فيجدوا أمامهم جميع أبواب الموبقات والمغريات والمحرمات! ولا للتليفزيون أو الســيديهات بما تحوى من موبقات أو حتى على أفضــل الأحوال المســلســلات التافهة، والأفلام الفارغة والمســرحيات العابثة فتملأ عقولهم بالأفكار المنحرفة والفجَّة، والمعلومات المغرضــة والغثَّة، لأن هذه مسئوليتنا.

بل يجب أن نطبق منهج النبوة عليهم، فكما أنك مسئول عن توفير الطعام والكسوة والعلاج والتعليم لإبنك، فأنت أيضًا مسئول مسئولية أكبر أن تحفظ له قلبه وتُعَمِّرَ له عقله بالإيمان.

فإذا كنت حريصــاً على صــحته الجســدية، فيجب أن يكون حرصــك أكبر على صــحته الإيمانية، وإذا كنت حريصــــاً على أن أوفر له جلباباً يحميه من الحرّ والبرد في الدنيا، فلا بد أن أخيط له جلباباً يحميه من حرِّ وزمهرير جهنم، وذلك لا يكون إلا من كتاب الله ﷻ، وفي ذلك قيلشاعر:

---

٥٦ روى الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنه

إذا المَرْءُ لم يَلْبَسْ ثِياباً مِنَ التّقَى   تَقَلّبَ عُرْياناً، وَإن كانَ كاسِيَا

ولكي يتم ذلك فعلينا تعليم أولادنا حُبَّ القرآن والإقبال عليه وعلى حفظه وفهمه، حتى يصيروا مغموسين بأنوار القرآن، وبأنوار حضرة الرحمن.

ثم نعلمهم حب رسول الله ﷺ. فأغلب أطفالنا الآن لا يعرفون غير لاعبي الكرة، والممثلين والممثلات، والمطربين والمطربات العرب والأجنبيات، وبالتالي لا يحبُّون غيرهم، مع أن معظم هؤلاء سيكونون يوم القيامة في الفئة التي يقول الله ﷻفيها: ﴿ وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَيِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴾ [٤١- القصص].

لكني أريد أن أربيهم في صفوف القوم الذين يقول الله فيهم: ﴿ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ [٧٤- الفرقان]. وهم أئمة أهل الجنة، وهؤلاء لا بد أن ترتبط قلوبهم بقلب رسول الله ﷺ.

كيف أعلِّمُهم حُبَّ رسول الله ﷺ؟

أحكي لهم سيرته، وأوضح لهم حياته، وأبين لهم مواقفه ومتاعبه في الدعوة إلى الله، وما تحمله في سبيل نشر دين الله، وأعرض عليهم الفضائل التي خصَّه الله ﷻ، خاصة وأن محبته ﷺ، سرُّ الفوز بالنعيم المقيم يوم لقاء الله، لقوله ﷺ:

{ يحشر المرء مع من أحب يوم القيامة }، وقوله أيضاً: { ما اختلط حبي بقلب عبد مؤمنٍ إلاَّ حرَّمه الله على النار }.[٥٧]

٥٧ الأول: متفق عليه عن أنس ، والثاني:رواه الطبراني عن أنس

وقد كان لهذه التربية أثر بالغ في نفوس أبناء أصـــحابه الكرام، فقد روي أنه بعد بيعة الرضوان التي تمت في صلح الحديبية فوجئت السيدة عائشة رضى الله عنها بمظاهرة كبيرة من الأطفال الصغار يدخلون عليها، ويتقدمهم ابن أختها عبد الله بن الزبير، فسألتهم عن سبب مجيئهم، فأخبروها أنهم سمعوا عن مبايعة الرسول ﷺ، لأصحابه فأرادوا أن ينالهم شرف ذلك، فأخبرت رسول الله ﷺ بذلك، فأمر بإدخالهم وصافحهم، وسُرَّ بهم، ودعا لهم.

وعلينا بعد ذلك أن نحببهم في الصـــالحين من عباد الله، وهم الأتقياء والعلماء العاملين، والحكماء، ونجعلهم يميلون إليهم ويتشـــبهون بهم ليتعلموا منهم الخشـــية والتواضـــع، والوقار والأدب والحبّ، والإخلاص والصدق، وفي ذلك يقول الإمام الشافعي ﷺ :

أحب الصالحين ولست منهم   عسى أني أنال بهم شفاعةً
وأكره من تجارته المعاصي   وإن كنا سويًّا في البضاعة

وقد ردت عليه السيدة نفيسة رضى الله عنها قائلة:

تحب الصـــالحين وأنت منهم   لعلهم ينالوا بك الشفاعـــة
وتكره من تجارته المعاصي   حماك الله من تلك البضاعة

فإذا عمَّرت عقله وقلبه بكتاب الله، وأحاديث رسول الله، وقصص الصـالحين، فإنه يشـبُّ على النقاء والصـــفاء، وقد طَهُرَ من الغِلِّ والغشِّ والحقد، فيصـــير رجلاً نافعاً لنفســـه ولأهله ولمجتمعه.

التأمل والتفكير

وهما ضـــروريان لتنمية العقل واســـتقلاله بالفهم والإدراك، والقرآن الكريم حافل بالآيات التي تدعو الإنســـان إلى التأمل وإيقاظ النفس، واســـتشـــعارها لعظمة الله وقدرته في الكون، لقوله تعالى في [١٦٤- البقرة]:.

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَـٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾

ويبدأ الإسلام التربية العقلية هنا بتحديد مجال النظر العقلي، فيصون الطاقة العقلية أن تتبدد وراء الغيبيات التي لا ســبيل للعقل البشــري أن يحكم فيها. وهو يعطي الإنســـان نصــيبه من هذه الغيبيات بالقدر الذي يلبي ميله للمجهول، ولكنه يَكِلُ أمر ذلك إلى الروح فهي القادرة على ذلك، المزودة بوســائل الوصــول، أما العقل فوســيلتهإلى الله وإلى معرفة الحق، هي تدبر الظاهر للحسِّ والمُدْرَكِ بالعقل.

ثم بعد ذلك يأخذ في تدريب الطاقة العقلية على طريقة الاســـتدلال المثمر والتعرف على الحقيقة، فيتخذ إلى ذلك وسيلتين كما يلى:

الوسيلة الأولى:

وضـــع المنـهج الصـــحيح للنظر العقلي فينعى على المقلـدين القـائلين: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾ [٢٣- الزخرف]. وينعي على الذين يتبعون الظن: ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ ﴾ [٢٣- النجم]. ثم يأمر بالتثبت من كل أمر قبل الاعتقاد به واقتفائه: ﴿ وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولـئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً ﴾ [٣٦- الإسراء].

والوسيلة الثانية:

هي تدبر نواميس الكون ـ تطبع العقل بطابع من الدقة والتنظيم، فيوجه الإســـلام الطاقة العقلية أول ما يوجهها إلى التأمل في حكمة الله وتدبيره. وهذا التأمل غايته إصلاح القلب البشري، وإقامة الحياة على الأرض على أســـس من الحق والعدل الأزليين الكامنين في بنية الكون وبنية الحياة، وفي يقول كريس موريسون [في كتابه (العلم يدعو للإيمان)]:

(إنَّ وجود الخالق يدلُّ عليه تنظيمات لا نهاية لها، تكون الحياة بدونها مستحيلة، وإن وجود الإنســـان على ظهر الأرض، والمظاهر الفاخرة لذكائه، إنما هي جزء من برنامج ينفذه بارئ الكون).

ويوجِّه الإســلام الطاقة العقلية كذلك إلى النظر في حكمة التشـريع، ولذلك فقد عنى القرآن في آيات التشـــريع بأن يوقظ العقل البشــــري لتدبر هذه الآيات، وفهمها ووعيها، حتى يســـتطيع تطبيقها على خير وجه.

ومنذ العصر الأول ظهرت حتى في التشريعات التفصيلية الثابتة المحكمة، حالات تستدعي إعمال الفكر، وفهم الحكمة، وفهم الترابط العام بين جميع التشريعات، ومن ذلك: عدم تطبيق عمر لحدِّ السرقة على غلمان حاطب بن أبي بلتعة الذين سرقوا ناقة رجل من مزينة، لأنه اعتبر الجوع الذي يقاسونه شُبْهَةً تدرأ عنهم الحدَّ وقال لعبدالرحمن بن حاطب: {

أما والله لولا أني أظن أنكم تستعملونهم وتجيعونهم، حتى لو أنّ أحدهم يجد ما حرم الله عليه لأكله، لقطعت أيديهم }[٥٨].

ومن جانب آخر فإن التشريعات المتعلقة بأمور متغيرة في الحياة البشرية، وهي سياسة الحكم وسياسة المال، قد اقتضت حكمة الله فيها أن يشمل التشريع الأسس والمبادئ دون التفصيلات والأشكال، لأن أية تفصيلات وأية أشكال ستكون موقوته بفترة معينة، بينما الأسس والمبادئ هي الإطار الذي ينبغي أن تسير الأمور في حدوده، متجددة بتجدد كل عصر ودرجته من العلم، ودرجته من التفاعل من الكون المادي، وصورة المجتمع الذي يعيش فيه.

ففي سياسة الحكم؛ مثلاً: ورد أساسان شاملان هما العدل والشورى:

﴿ وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ ﴾ [٥٨- النساء].

﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ﴾[٣٨- الشورى].

ولكنه لم يبيّن أي طريقة تكون عليها الشورى؟ أهي مجمع من رؤساء القبائل والعشائر؟ أم مجلس برلماني منتخب أو معين، أو خلافة، لأن هذه صورة متغيرة بتغير صورة المجتمع وإمكانياته.

---

٥٨ مصنف عبد الرزاق الصنعاني

وجاء في سياسة المال: ﴿ كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاء مِنكُمْ ﴾ [٧- الحشر]. فقرر كراهية حصر المال في يد فئة قليلة يتداولونه بينهم وبقية الأمة محرومة منه. أما طريقة الاشتراك في هذا الخير فقد تركها لكل جيل يصوغها في الصورة التي تلائم ظروفه وعلمه وإمكانياته، بحيث لا يخرج على تلك القاعدة الكبرى.

لهذا وذاك طلب اليقظة من الإنسان لحكمة التشريع الإلهي، ووعيه وتدبره، ضماناً لسير الأمور في الأرض على نهج من العدالة والحق المستمدين من العقيدة في الله. ومن هنا يمتزج التشريع بالتوجيه، وتمتزج الأحكام بالتقوى التي تضئ الوجدان.

ويوجِّه الإسلام الطاقة العقلية كذلك لضمان سير الأمور في المجتمع على منهج صحيح. فكل فرد في الأمة المسلمة مطالب بالرقابة على المجتمع، ومسئول عن كل ما يقع فيه، وإلاَّ أصابه جزاء غفلته ولو لم يكن هو ذاته من الظالمين. ﴿ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً ﴾ [٢٥- الأنفال]،وإنما تصيبكم جميعًا جزاء قعودكم عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

هذا التكافل في المجتمع والرقابة على سير الأمور فيه، يقتضيان وعياً كافياً، ويستلزمان عقولاً ناضجة، ولا بد من توجيه الطاقة العقلية للعمل في هذا الميدان، فهذا هو الضمان لحسن سير الأمور.

والقرآن يوجه المسلمين في ذلك توجيهات شتى:

فهو مرَّةً يبصرهم بأعدائهم الذين يتربصون بهم لِيَحْذَرُوهم، ويكونوا على الدوام متيقظين لهم، واعين لمؤامراتهم ودسائسهم. وتارة يوجههم لطريقة تلقي الأنباء والتصرف في الأمور حين تشيع الشائعات حول أمر من الأمور. وتارة يوجههم إلى حسن الحكم على الأشياء والأشخاص، وعدم التسرع في إصدار حكم على أمر لم تتبين كل خطوطه. وتارة يوجههم إلى طاعة أولي الأمر في حدود طاعة هؤلاء لله والرسول ﷺ . وهكذا مع ملاحظة أن كل توجيه تنظيمي يصحبه ويلزمه التوجيه إلى الله والدعوة إلى تقواه.

ويوجِّه القرآن الطاقة العقلية إلى النظر في سـنة الله في الأرض وأحوال الأمم والشـعوب على مدار التاريخ فقد قال الله فى (١٠٩يوسف):

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ ٱلْأَخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾

ثم يوجِّه الإسـلام العقل البشـري إلى اسـتخلاص الطاقة المادية والمكونات والعناصـر الأرضية وتذليلها لخدمة الإنسان:

﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ ﴾ [١٠- الأعراف].

فيوجهه إلى استخلاص الطاقة المادية، وقد وجَّه رُوحَه من قبل إلى الارتباط بالله وخشيته وتقواه؛ ومن ثم يعمل العقل البشـري في اسـتخلاص هذه الطاقة غير مفتون بها ولا شـاعر بأنها خلاصـة الحياة وجوهرها الأوحد؛ فينتفع بثمارها وهو مالك لأمره منها، غير مسـتعبد لها ولا منجرف في طريقها، وهذا فارق حاسم فيما بين الإسلام وغيره من النظم والعقائد والأفكار.

ولذلك فإن المسلمين لم يفتنهم التقدم المادي فينقطعوا عن الله ومنهجه وعبادته والسير على هداه، ولم يفتنهم فينقطعوا عن عالم الروح، ولم يفتنهم فيستغلوا علمهم في سبيل الشر، ولم يفتنهم فيُحَوِّلُهم إلى المادية الكريهة التى تسـيطر اليوم على الغرب، ولم يفتنهم فينبذوا أخلاقهم جانباً بحُجَّةِ أنهم تقدُّميُّون.

بل سـار العلم في ظلال العقيدة يكشـف ويصـل كل يوم إلى جديد، وهو ماض في طريق الخير، لأنه سائر في طريق الله، ولذلك يحرص الإسلام أشد الحرص على ربط القلب دائمًا بالله، وتوجيه العقل - وهو يعمل في اسـتنباط الطاقة المادية في الأرض - إلى حكمة الله من الخلق، وآياته في رحاب الكون.

والعلاقة بن العقل والروح قائمة أبدًا لا تنفصم في منهج الإسلام. ومن ثم لا يضل العقل - وهو يتعلم - ولا ينحرف عن طريق الخير، ولا يستخدم معلوماته في سبيل الشر.

والعلاقة بين الروح والمادة قائمة: فلا يستعبد الإنسان المادة، ولا يقع فريسة للآلة تستعبده وتسيطر عليه، لأنه حافظٌ لكيانه المتكامل، مستمدٌ قوته من الله، من ثم يظل هو المسيطر وهو العنصر الإيجابي الفعال.

تلك طريقة الإسلام في تربية العقل:

﴿صِبْغَةَ اللهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً﴾ [١٣٨- البقرة].

ثالثا: الإعداد الروحي

ويقصـــد بالإعداد الروحي أن يكون الطفل جياش العواطف، ينبســط للخير ويفرح به ويحرص عليه، وينقبض عن الشــرِّ ويضــيق به ويفرُّ منه. ويوجِّه الإســلام عناية خاصــة لتربية الرُّوح لأنها في نظره مركز الكيان البشرى ونقطة ارتكازه، والمهيمن الأكبر على حياة الإنسـان، لأنها صلة الإنسان بالله:

﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ [٢٩- الحجر].

فالرُّوح تلك الطاقة المجهولة التي لا نعرف كنهها ولا طريقة عملها، هي وسيلتنا للإتصال بالله ....

وهى الطاقة التي يتصـــل بها الإنســـان بالمجهول، بالغيب المحجوب عن الحواس، فالاســتشــفاف عملية من عملية الرُّوح، والحلم التنبؤي عملية من عمليات الروح، والتخاطر عن بعد (التلباثي) كحادثة عمر الشـــهيرة مع ســـارية، حين ناداه على بعد ألوف الأميال: يا ســـارية الجبل!! فسـمعه سـارية ونجا من الكمين وانتصـر، هذا التخاطر عملية من عمليات الروح. وهي كلها عمليات جليلة عظيمة باهرة معجزة. يقف الإنســـان حائرًا أمامها، مبهورًا من العجب والإعجاب.

ومهمة العقيدة هى مساندة الفطرة وتوجيهها وجهتها. مهمتها أن تساعد الفطرة في الاهتداء إلى الله، الاهتداء الذي هو كامن في كيانها ولو حجبتها عنه الأمراض. مهمتها أن تطلق الرُّوح من إسارها لكي ترى الله.

فيعتقد الطفل أن الله الذي خلقه معه ويراه، وهو مطلع على ســـرِّه وعلانيته، وأنه ســـوف يحاسبه في يوم لا شفيع فيه ولا نصير. وأن جوارحه سوف تشـهد عليه، وأن الله قد فرض عليه فرائض فلا يضيعها كالصلاة والصيام والزكاة، وإكرام الوالدين، والإحسان إلى الجيران، وصلة الرحم.... وغيرها، .... فطريقة الإسلام في تربية الروح هي :

أن يعقد صـــلة دائمة بينها وبين الله، في كل لحظة وكل عمل وكل فكرة وكل شـــعور، ويستخدم لذلك وسائل شتى:

- فهو من ناحية يثير حساسية القلب بيد الله المبدعة في صفحة الكون، لتحس دائما بوجود الله، وقدرته المطلقة التي ليست لها حدود.

- ومن ناحية يثير حســاســية القلب برقابة الله الدائمة عليه. فهو مع الإنســان أينما كان، وهو مطَّلعٌ على فؤاده، عالم بكل أسراره، وبما هو أخفى من الأسرار.

- ومن ناحية يثير في القلب وجدان التقوى والخشـــية الدائمة لله، ومراقبته في كل عمل وكل فكرة وكل شعور.

- ومن ناحية يثير فيه الحب لله، والتطلع الدائم إلى رضاه.

- ومن ناحية يبعث فيه الطمأنينة إلى الله في السَّرَّاء والضَّرَّاء، وتقبُّل قدره بالتسليم والرضاء. والهدف في النهاية واحد: هو وصل القلب البشري بالله.

- وحين يحسُّ بمراقبة الله الدائمة له في كل تصرف، وكل فكرة، وكل شعور، وكل هاجسـة في النفس مسـتورة، وكل خائنة في العين خافية: ... يهتز ويرتعش، ويخِرُّ خاشـعًا ويراقب الله في الصـغيرة والكبيرة وفي الجهر وفي الخفاء ويراقبه وهو يعمل، يراقبه وهو يفكِّر، يراقبه وهو يحسُّ، فلا يعمل شـيئًا بغير إخلاص، ولا يعمل شـيئًا بقصـد الشـرِّ ولا يعمل شـيئًا دون تمعن وتفكر، ولا يعمل مسـتهترًا ولا مسـتهينًا بالعواقب، ولا يعمل شـيئًا لغير الله.

وسائل الإعداد الروحي

ويمكن أن نلخص وسائل الإعداد الروحي فيما يلى:

١. العناية بالفضائل

وذلك بإبراز قيمة الفضـائل وآثارها الفردية والإجتماعية وأبرزها: العدل، والصـدق، وبر الوالدين، والشـجاعة والصـبر، والرحمة والعفو، والأمانة والعفة، والتواضـع والحلم، والصـمت وكفالة اليتيم، وبرُّ الجار والإجارة، والوفاء للصديق والوفاء بالعهد، وغيرها.

وإظهار مسـاوئ الرذائل كالكبر، والظلم والحسـد، والكذب والنفاق، والنميمة والغيبة، والبخل والبغي، والغرور والسخط، وحب الدنيا واللعن، وصحبة الأشرار وشهادة الزور، والغدر وخلف الوعد، والجدال والمراء، والرياء والعجب، والغش والتجسـس، والهمز واللمز والشـماتة، والزنا واللواط، وعقوق الوالدين واتباع الهوى، وقطيعة الأرحام والربا، وغيرها.

وبيان آثارها أمام الطفل بقدر ما يتسـع له فهمه، وذلك بمراقبته وتعويده على الحياء والاحتشـام، وأن يحبب إليه الإيثار، ويحفظه عن الصـبيان الذين عُودوا التنعم والرفاهية ولبس الثياب الفاخرة، وعن مخالطة كل من يُسـمعه ما يُرغبه فيه، ويمنع من لغو الكلام وفحشـه، من اللعن والسـب، ومن مخالطة من يجري على لسـانه شـئ من ذلك، فإن ذلك يسـرى لا محالة من قرناء السوء.

ولذلك فإنَّ من الضـروري أن يحبب الآباء أبناءهم في اختيار الأصـدقاء الأخيار، ومزاولة أصحاب الخلق الفاضل، لأن الأطفال يحاكي بعضهم بعضاً ويتشبه كلٌّ بالآخر.

والصورة المثلى للتربية الحسنة هي ما يرويه القرآن الكريم في حديث لقمان وهو يعظ ابنه إذ يقول:

﴿ وَإِذۡ قَالَ لُقۡمَٰنُ لِٱبۡنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٌ ﴾ [١٣- لقمان]، ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ١٦ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٧ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ١٨ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ١٩ ﴾ [١٦:١٩لقمان]

ففي هذه الآيات نرى تدرج الدعوة وأخذها بالأهم فالمهم في خطوات أو مراحل متتابعة ومتكاملة لا انفصال بينها وهي:

أولا: جانب العقيدة: متمثلا في قوله:

﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٌ ﴾ [١٣- لقمان]، ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ﴾ [١٦- لقمان].

وبعد تثبيت العقيدة واستقرارها في الضمير بعد الإيمان بالله وحده لا شريك له، واليقين بالآخرة لا ريب فيه، والثقة بعدالة الجزاء لا يفلت منه مثقال حبة من خردل. بعد ذلك تأتي المرحلة الثانية.

ثانيًا ـ تطبيق العقيدة:

متمثلاً في التوجه إلى الله بالصلاة وإلى الناس بالدعوة إلى الله والصبر على تكاليف الدعوة ومتابعتها التي لا بد أن تكون:

﴿ يَـٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴾ [١٧- لقمان].

ثالثًا ـ الجانب الأخلاقي والتربوي:

ثم ينتقل إلى أدب الداعية إلى الله، فالدعوة إلى الخير لا تجيز التعالي على الناس والتطاول عليهم باسم قيادتهم إلى الخير، ومن باب أولى يكون التعالي والتطاول بغير دعوة إلى الخير أقبح وأرذل:﴿

وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ﴾ [١٨، ١٩- لقمان].

ويوضح الإمام الغزالي كيفية العناية بهذا الجانب [في كتابه (إحياء علوم الدين) جـــ ٣ ص٧٣] فيقول:

(مهما ظهر من الصبي خُلُقٌ جميل، وفِعْلٌ محمود، فينبغي أن يُكَرَّم عليه ويُجازى عليه بما يفرح به، ويُمدح بين أظهر الناس، فإن خالف ذلك في بعض الأحوال مرَّةً واحدة فينبغي أن يتغافل عنه، ولا يهتك ستره، ولا يكاشفه، ولا يظهر له أن يتصور أن يتجاسر أحد على مثله، ولا سيما إذا ستره الصبي واجتهد في إخفائه، فإن إظهار ذلك عليه ربما يفيده جسارة حتى لا يبالي بالمكاشفة. فعند ذلك إن عاد ثانية فينبغي أن يعاتب سرًّا ويعظم الأمر فيه. ولا تكثر القول عليه بالعتاب في كل حين، فإنه يهون عليه سماع الملامة وركوب القبائح، ويُسقط وَقْعَ الكلام من قلبه، وليكن الأب حافظًا هيبة الكلام معه، فلا يوبخه إلا أحياناً، والأم تخوِّفُهُ بالأب وتزجره عن القبائح).

٢. القدوة الطيبة

أن يكون الآباء أنفسهم مثلاً صالحاً لأبنائهم، فإن الأطفال من عاداتهم أن يتشبهوا بآبائهم ويحاكونهم في أقوالهم وأفعالهم، والقدوة الصالحة ما هي إلا عَرْضٌ مُجَسَّمٌ للفضائل. وإن الطفل الذي يرى والديه يهتمان بأداء الشعائر والبعد عما يخل بتعاليم الدين - مثل الكذب والغدر، والنميمة والأثرة، والبخل وغير ذلك من الصفات الذميمة - لا بد وأن يتأثر تأثرًا بالغًا بما يراه ويشاهده من والديه، وفي ذلك يقول الغزالي [في إحيائه]:

(فأول الأمور التي ينبغي أن تراعى فإن الصبي بجوهره خلق قابل للخير والشر جميعًا، وإنما أبواه يميلان به إلى أحد الجانبين قال رسول الله ﷺ :

{ كلُّ مولودٍ يولَدُ على الفِطرةِ، فأبَواهُ يُهوِّدانهِ أو يُنصِّرانِه أو يُمجِّسانِه } [٥٩]

٥٩ الشيخان عن أبي هريرة

ولكي تكتمل القدوة الطيبة لدى الطفل فإننا نحتاج إلى أن يكون الشارع والمدرسة والمجتمع على الصورة التي تُرغِّب في تنشئة ذلك الطفل عليها، فإن تربية طفل واحد على الإسلام، كتربية ألف طفل، كتربية جميع الأطفال، تحتاج إلى البيت المسلم والشارع المسلم والمدرسة المسلمة، والمجتمع المسلم.

فما دمت لا تستطيع - ولا ينبغي لك - أن تحبس طفلك عن النزول إلى الشارع للعب أو السير والانتقال فيه؛ ولا عن الذهاب إلى المدرسة ليتعلم؛ ولا عن الاختلاط بالمجتع ومفاهيمه وعاداته وتقاليده وأنماط سلوكه، ولا عن التأثيرات الناشئة من ذلك كله؛ فلن تستطيع إذن أن تنشئ هذا الطفل كما تريد أنت، مهما كنت في بيتك على أعلى درجات المثالية في سلوكك الشخصي أو في منهجك التربوي. فإن كنا نريد إذن أن نربي أطفالنا تربية إسلامية - وذلك هو الطبيعي لكوننا مسلمين - فلا بد أن يكون لدينا البيت المسلم والشارع المسلم والمدرسة المسلمة والمجتمع المسلم.

ومن بديهيات المجتمع المسلم أن يكون البيت والشارع والمدرسة والمجتمع كلها سائرة في طريق واحد هو طريق الإسلام والتربية الإسلامية؛ وألاَّ يوجد الصراع بينها، مادامت كلها تنهج نهجًا واحدًا، وتستمد من معين واحد؛ وأن تتآزر جميعًا على تكوين الشخصية الإيمانية المسلمة، وتوحيد أنماط سلوك المجتمع وعاداته، وجعلها طابعًا مميزًا للمجتمع الإسلامي كله، ينعكس في السلوك الفردي لكل مسلم، كالآداب العامة، وطريقة التعامل في البيع والشراء، وآداب الزيارة، وآداب الحديث، وآداب الزوج، وآداب الأسرة، وغيرها، وإن كان هذا التوحيد العام لأنماط السلوك وعاداته لا يلغي الفوارق الذاتية بين البشر المسلمين، ولا يجعلهم نسخًا مكررة، وإنما يسمح بوجود درجات من الاختلاف؛ لأن لكل مسلم طابعه الخاص.

ومع عناية الإسلام بأن يكون البيت والشارع والمدرسة والمجتمع كلها سائرة في طريق واحد ومؤدية إلى غاية واحدة، فقد كان تركيز الإسلام الأكبر على الأسرة والبيت لأن البيت هو المحضن الذي ينشأ فيه الطفل حتى يكبر، ويلتقط منه الانطباع الأول الذي قد يؤثر فيه مدى الحياة.

وتتضــح لنا عناية الإســلام بالبيت والأســرة من مراجعة تشــريعات الإســلام وتنظيماته وتوجيهاته جميعًا. فأما التشريعات والتنظيمات فقد كفلت قيام الأسرة على رباط شرعي معلن قائمٍ بسـم الله، وفي ذلك حفظ الأنسـاب، واطمئنان الأب إلى أبنائه، واطمئنان الأبناء إلى أبويهم، وذلك عنصر مهم من عناصر الاستقرار في نفس الطفل.

كما كفلت التشــريعات والتنظيمات قيام الزوج بكفالة الزوجة وإراحة أعصـــابها من جهد الكدح من أجل لقمة الخبز، وذلك لكي تتفرغ لمهمتها العظمى في تنشئة الأجيال.

ولئن كان الداء الذي أصـاب العالم المادي هو تشـغيل المرأة، وشَـغَلَهَا بقضـية المسـاواة مع الرجل، وَحَمَلَهَا على أن تسـتنكف التفرغ للأمومة وبناء الأجيال القادمة من البشـرية، وتعدُّه حطًا من قيمتها وتضييعاً لمواهبها، وتصعيب الحياة الإقتصادية وتعقيدها ــ بخبث ــ بحيث لا يكفي فيها إيراد الرجل وحده لإقامة بيت وأسرة، لكي تُكره المرأة على العمل، أو لكي تجد المبرر الظاهري لهجر البيت والخروج للعمل، فإن المرأة العاملة المتزوجة ذات الأولاد لهي التي تصرخ مستجيرة من ذلك الجهد المهلك المضـني، خاصــة بعد أن تكثر مطالب الأسـرة وتتعدد. ولقد كان الإســلام أرأف بها وأرحم، وأعلم باحتياجاتها واحتياجات الطفولة واحتياجات البشرية كلها وهو يضـع هذه التشريعات وهذه التنظيمات.

وأما توجيهات الإسلام فهي تدعو إلى توفير أكبر قدر من الاستقرار لهذا البيت الذي ينشأ فيه الطفل، لتكون تنشئة الأطفال في أفضل وضع لهم، وفي أنسب الظروف ملائمة لنموهم السوي على الفطرة السليمة.

فهو أولاً

يســـتثير وجدان المودة والرحمة بين الزوجين، ليكون هذا هو الرباط الأقوى الذي يربط قلب الأب وقلب الأم، فيربط معهما كيان البيت كله:

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [٢١- الروم].

ثم هو ثانياً:

يوصـــي كلاً منهما بإحســان المعاملة من جانبه، والحرص على هذا الرباط من أن تنفصـم عراه: ﴿ وَعَاشِـرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ [١٩- النسـاء]، ويدعو إلى علاج كل بادرة من بوادر الخلاف قبل أن تصل للقطيعة [٣٤- ٣٥ النساء].:

﴿ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴾

والملحوظ في هذه التوجيهات كلها:

كما هو الملحوظ في التشـريعات والتنظيمات أن تكون الأمور في الوضـع الأمثل بالنسـبة للرجل والمرأة كليهما، ولكن من الواضح كذلك أنها تهدف إلى ما وراء الرجل والمرأة في ذاتهما. فهي تهدف - بتوفير الاستقرار النفسي والعصبي والاجتماعي والاقتصادي للرجل والمرأة - إلى تهيئة الجو الصالح للأمومة والأبوة، لتنشئة الأجيال المقبلة في أنسب وضع لهذه التنشئة وأفضل وضع.

فلا شـئ ييسـر التربية السـليمة ويجعلها أقرب إلى إيتاء الثمرة المرجوَّة من الجو المسـتقر حول الطفل، والحب المرفرف حوله من خلال الأبوين، ولا شـــئ يفسـد التربية ويجعلها أبعد عن إيتاء ثمرتها من -جو القلق العصـبي والنفســي والفكري والروحي، والجو المشــحون بالبغضــاء والشقاق والتوتر.

ومن هنا كان حرص الإسلام الشديد على تربية الناس على نهج الإسلام، لكي يكون الآباء هم القدوة المباشـرة لأبنائهم في الفترة التي ينحصـر عالم الطفل فيهم، فتتكون في نفوس الأطفال - بالالتقاط والمحاكاة ـــ تلك القيم الإسلامية بغير جهد يذكر، وينشأ في نفوسهم منذ الصغر فتكون عميقة الجذور، ثم يزيدها التعليم رسوخًا، ويزيدها المجتمع الإسلامي قوة.

فحين توجد القدوة الحســنة متمثلة في الأب المســلم والأم ذات الدين فإن كثيرًا من الجهد الذي يبذل في تنشـئة الطفل على الإسـلام يكون جهدًا ميسـرًا وقريب الثمرة في ذات الوقت، لأن الطفل سيتشرب القيم الإسلامية من الجو المحيط به تشرُّبًا تلقائيًا، وستكون تصرفات الأم والأب أمامه في مختلف المواقف - مع بعضـهما البعض ومع الآخرين - نماذج يحتذيها ويتصـرف على منوالها.

ولذا فعلى الأب والأم واجبات عديدة فى هذا الشأن:

عليهما أن يترفعا أمام أولادهما عن دنايا الأمور، وسفاسف العادات، وقبائح الأخلاق، وأن ينزِّها ألسنتهما من السباب والشتائم والكلمات النابية والقبيحة، وعن كل ما يُنْبِي عن فساد الأخلاق كالكذب الذى استشرى فى البيوت، لأن مسئوليتهما في هذا المجال مسئولية شاملة.

ومن الأمور المسلم بها لدى علماء التربية أن الطفل يولد على الفطرة النقيَّة والطهارة والبراءة، فإذا تهيأت له التربية المنزلية الواعية، والبيئة التعليمية المؤمنة، نشأ الولد على أخلاق فاضلة، وتربَّى تربيَّة صالحة.

والصبي أمانة عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة، فإذا عُوِّدَ الخير وعُلِّمَه، نشأ عليه وسعد به في الدنيا والآخرة، وإن نشأ في بيت مهمل، وخالط جماعة فاسدة، فإنه سيرضع لبان الفساد ويتربى على أسوأ الأخلاق، وسرعان ما يتحول من السعادة إلى الشقاء.

٣. التدريب على العبادات

وفي هذه المرحلة يجب أن:

- يُلقَّن الطفل مبادئ الدين.
- ونُمَرِّنُهُ على العبادات.
- ونعوِّده على ممارسة فعل الخير.

لأن ذلك يجعل منه نواة صالحة لمجتمع سليم راق، وفي ذلك يقول الإمام الغزالي [في إحيائه جـ ٣ ص٧٣]:

(ومهما بلغ سن التمييز، فينبغي أن لا يسامح في ترك الطهارة والصلاة، ويؤمر بالصوم في بعض أيام رمضان، ويُجَنَّبُ لبس الديباج والحرير والذهب، ويُعَلَّم كل ما يحتاج إليه في حدود الشرع).

وقد قال رسول الله ﷺ ، موضِّحاً الواجب على الأب في هذه الفترة فيما رواه الكثيرون من أصحاب الكتب:

{ مُرُوا الصبيانَ بالصلاةِ لِسَبْعِ سنينَ، واضْرِبُوْهُمْ عَلَيْهَا في عَشْرٍ، وفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ في المَضَاجِعِ }[٦٠]

وأيضاً: { الغُلاَمُ يُعَقُّ عَنْهُ يَوْمَ السَّابِعِ وَيُسَمَّى وَيُمَاطُ عَنْهُ الأَذَى؛ فَإِذَا بَلَغَ سِتَّ سِنِينَ أُدِّبَ، فَإِذَا بَلَغَ تِسْعَ سِنِينَ عُزِلَ فِرَاشُهُ، فَإِذَا بَلَغَ ثَلاَثَ عَشْرَةَ سَنَةً ضُرِبَ عَلَى الصَّلاةِ، فَإِذَا بَلَغَ سِتَّ عَشْرَةَ سَنَةً زَوَّجَهُ أَبُوهُ؛ ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِهِ وَقَالَ: قَدْ أَدَّبْتُكَ وَعَلَّمْتُكَ وَأَنْكَحْتُكَ، أَعُوذُ بِاللهِ مِنْ فِتْنَتِكَ فِي الدُّنْيا وَعَذَابِكَ فِي الآخِرَةِ}.[٦١]

فقد جاء التوجيه النبوى أن نروض أولادنا على القيام بالعبادات لتتأصل في نفوسهم ويتعودوا عليها منذ نشأتهم الأولى، حتى يتربى الطفل على طاعة الله ﷻ والقيام بحقِّه، والثقة به والاعتماد عليه، ويجد فيها أيضًا طُهْرًا لروحه، وصفاءاً لنفسه، وصحةً لبدنه، وتهذيباً لأخلاقه. فقد قال:

{ أَكْرِمُوا أَوْلاَدَكُمْ، وَأَحْسِنُوا أَدَبَهُمْ ، وورد: آدابهم }[٦٢]

{ مَا نَحَلَ والدٌ ولداً خيراً لَهُ من أدبٍ حَسَنٍ }[٦٣]

---

٦٠ عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، سنن الكبرى للبيهقي

٦١ابن حبان عن أنس، وفى تخريج أحاديث الإحياء قال العراقى : أخرجه أبو الشيخ ابن حبان في كتاب الضحايا والعقيقة إلا أنه قال"وأدبوه لسبع وزوجوه لسبع عشرة ولم يذكر الصوم" وفي إسناده من لم يسم.

٦٢ سنن ابن ماجه، عن أنس

٦٣ رواه أيوب بن موسى عن أبيه عن جده سنن الكبرى للبيهقي

إن الطفل عندما ينشــأ منذ نعومة أظفاره على الإيمان بالله والاعتماد عليه والمراقبة له فإنه يصبح وعنده الملكة الفطرية، والاستجابة الوجدانية، لتقبل كل فضيلة ومَكْرُمَة، ويتأتى ذلك بإبراز مشاعر الطهر والنقاء في نفسه، وإشعاره بمراقبة الله عليه.

ولذلك فيبدأ الأبوان في هذه المرحلة:

- بتعليم الطفل الطهارة والوضوء والصلاة.
- ويصــحبه الأب معه إلى المســجد للصــلاة معه، على أن يبين له آداب المســجد والجلوس فيه، ويوضــح له كيفية الصــلاة في جماعة - ويجتهد في إقناعه بأهمية الصلاة وفضائلها، ويكشف له عن بعض أسرارها، حتى تكون عبادته عن حُبٍّ وشوق لا عن خوفٍ ورهبة، فذلك يجعله يصلي سواء كُنْتُ حاضرًا أو غائبًا لأنه يصــلي لله ﷻ، وليس خوفًا مني أو رغبة في إرضــائي بل رغبة في إرضــاء الله ﷻ ..
- وكذلك الصيام فنبدأ بتدريب الطفل على صيام بعض اليوم، ثم نصفه، ثم صيام بعض أيام الشهر الكريم. وتحكي السيدة عائشة ﵂ عن ذلك فتقول:

{ كنا نصُوم ونحن صغار، وكانوا يصنعون لنا اللعبة من العهن (الصوف) يلهوننا بها عن الجوع }.

٤. الآداب الإسلامية

وفي تلك المرحلة الهامة يجب تعويدهم على الآداب الإسـلامية الهامة وخاصـة في النوم فنجعل الأولاد في غرفة والبنات في غرفة، ونجعل لكل ولد أو بنت سـريراً خاصـاً به، فإذا اضطررنا لأن ينام ولدان على سرير واحد، أو بنتان في فراش واحد، فيجب أن نجعل لكل ولد أو بنت غطاءًا خاصًا به ولا نشركهما في غطاء واحد، لأن احتكاك الأعضاء ببعضهما قد يحرك الشهوة، أو يثير الغرائز، وهذا من الحيطة البالغة التي يحرص الإسلام عليها.

وكذلك يجب تعليمهم أدب الاستئذان كما وضَّحه القرآن، لأنه من قواعد الأدب العالي والخلق الرفيع. فالرجل عندما يدخل إلى غرفة نومه ومعه زوجته عليه أن يعلم أولاده أن لا يدخلوا عليه إلا إذا استأذوا حتى لا تقع أنظارهم عليه في صورة لا يحب منهم أن يطَّلِعُوا عليها، وذلك ما وجَّه إليه القرآن الكريم في قوله تعالى فى (٥٨النور):

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُواْ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَـٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَـٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾

ونركز في هذه الفترة على تعليمهم أدب الطعام، وأدب الكلام، وأدب المشـي، وأدب الجلوس، وأدب الزيارة، وأدب السلام، وغيرها من الآداب الإسلامية التي تجعل الطفل ينشأ على القيم الإسلامية ويَعْتَزُّ بها، ويفتخر بالتمسك بها.

وعلينا أن نحذر هذا التقليد الذي سرى في بلادنا كالنار في الهشيم، وهو الدفع بأولادنا إلى مدارس أجنبية ومعاهد تبشيرية، مع ترك قيادة الأولاد في تعليمهم لمربين ملحدين، يغرسون في أنفسهم بذور الحقد والإلحاد، والتأفف من العفاف وكره الحجاب، ويزودونهم بكتب وأفلام الخلاعة والمجون على أنها ثقافة وما كتبه المستشرقون ضد ديننا الحنيف لكى تعرف الرأى الآخر! وتتعود حرية الفكر!!!، ويصبون في آذانهم كلمات الاستهجان بالدين والاستخفاف به وإن لم يصرحوا بذلك ولكنهم يبثوه فى نفوسهم!

و فى أحسن الأحوال يتعمدون تنفيرهم من اللغة العربية وصعوبة القرآن وفهمه كما يصورون لهم من طرف خفى مع عرض أنماط الحياة الغربية عليهم مع ما فيها من حرية وإختلاط وسهوله ولا مطالبة بالصلاة كل وقت ولا محافظة على طهارة وأشياء لا أهمية لها!! كما يقولون لهم!

فعلينا أن نتنبه لهذا ونستشعر المسئولية الضخمة والخطر الجسيم، وهذا يتطلب اليقظة التامة والحيطة الكاملة فى اختيار المدرسة ومتابعة الأبناء.

،ولنضرب مثلاً للذين تربَّوْا على الإيمان بالحسن والحسين سيديِّ شباب أهل الجنة ﷺ:

- فقد غَرَسَتْ فيهما التربية الإسلامية الحكمة في معالجة الأمور التي تعن لهما، ولذلك ورد أنهما رأيا رجلاً لا يحسن الوضوء، فلم ينبهاه بطريقة مباشرة حتى لا يجرحا مشاعره، بل اصطنعا شجارًا وخلافًا بينهما على أيهما أحسن وضوءًا، ثم اقتربا منه وطلبا منه أن يتوضئا أمامه ويحكم بينهما، فلما رآهما الرجل تنبَّه إلى خطئه، وشكر لهما حسن صنيعهما.

وأيضًا هذه الحكمة هي التي دفعت الحسين - وهو الأصغر - عندما حدث خلافٌ بينه وبين الحسن أن يرسل إليه رسالة يقول فيها:

يا أخى الحبيب :قال ﷺ :(

{لا ينبغي لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث، وخيرهما الذي يبدأ **بالسلام**}

)فإذا وصلك خطابي هذا فأت إليَّ لأني لا أرضى أن تكون الخيرية لي وأنت أخي الأكبر.

فجاء إليه وتصافيا!! لأنهما تربيا على منهج الإسلام القويم.

الفصل الرابع

رعاية شباب الإسلام

أولاً: التثقيف والتربية الجنسية

- نماذج من الأسئلة التى طرحت على الرسول
- الألفاظ القرآنية فى المواضيع الجنسية
- أسباب عناية الإسلام بالتربية الجنسية
- تربية الأطفال جنسياً

  أولاً: ستر العورة

  ثانياً: التفريق بينهم فى المضاجع

  ثالثاً: تعليم الأبناء أحكام المراهقة

  رابعاً: تجنب الأولاد الإثارات الجنسية

  خامسا: تعليمهم أدب الدخول على النساء والإستئذان على الوالدين
- علاج الإسلام للزنى
- أسباب إنتشار الآفات الجنسية فى المجتمع

  ١- الإختلاء بالمرأة الأجنبية

  ٢- النظر المحرم إلى محاسن المرأة

  ٣- الإستماع إلى صوت المرة المرخَّم

  ٤- شم أنفاس المرأة واستنشاق عطرها

  ٥- لمس أعضائها.

  ٦- نقص التربية متمثلاً فى قلة المروءة.

٧- نقص التربية مثمثلاً فى عدم الوعى بأخطار الزنا
٨- عدم الزواج المبكر
٩- فقدان الرادع

- العلاج الإسلامى لإنتشار الآفات الجنسية

ثانياً: التربية الإيمانية

- مسئولية الآباء فى متابعة الأبناء
- أسس التربية الإسلامية

أولاً: القيم الإسلامية
ثانياً: مكارم الأخلاق
ثالثاً: بناء المراقبة الإيمانية (الضمير)
رابعاً: جهاد النفس

- نور القرآن
- ميادين جهاد المؤمنين

الفصل الرابع

رعاية شباب الإسلام

عني الإســـلام عناية كبيرة جدًا بالشـــباب لأنهم عماد الأمة، ومطمح آمالها، وعليهم جُلُّ اعتمادها في أي نهضـة تقوم بها. وقد كان لجيل الشباب المسلم في بدء الدعوة الإسلامية ـ أمثال عليّ ابن أبي طالب، وعمَّار بن ياســر، ومصــعب بن عمير، وزيد بن حارثة، وأســامة بن زيد، وغيرهم ـ الفضل الأول في نشر الدعوة الإسلامية، وتثبيت أركانها.

وتعتبر فترة الشـــباب أهم فترة في حياة الإنســـان لأنها تبدأ من لحظة البلوغ، أو من ســـن الرابعة عشـــر تقريبًا، وفي هذه الفترة تكون قد اكتملت للإنســـان ذكرًا كان أو أنثى أعضـــاؤه الجسـمانية، وتنشـط جميع غرائزه محاولة إبراز ملامح شـخصـيتة، ويقترب العقل من النضـوج فيسعى للإلمام بكل ما حوله.

ومن هنا فإن الشـاب يخضـع لدوافع داخلية كثيرة وخطيرة، غير المؤثرات الخارجية تؤثر في سلكوكه وعاداته، وتحاول أن تلقي بظلِّها على شخصيته وتصرفاته.

والإسلام بطبيعته الشمولية لم يهمل هذه المؤثرات، ولم يطالب بتنحيتها جانبًا، لكنه وضع أمثل الطرق لاســـتخدامها والاســـتفادة بها في حياة المرء، حتى يكون المرء متوازنًا بين مطالب الجسد ومطالب الروح، عاملاً لسعادة نفسه وبني جنسه في الدنيا، ونجاة نفسه في الآخرة، وذلك ما نجده واضـحًا في بناء الإسـلام للشـباب في هذه الفترة، فهو يهتم بكل ما له علاقة بالجنس، بدءًا من المراهقة، فالبلوغ وعلاماته، إلى الخطبة فالزواج وما يتعلق بذلك من أحكام شـــرعيَّة وآداب خُلُقِيَّة.

ويحرص على توضيح صفات النفاق والمنافقين ـ مع شدة التحذير منها ـ ليتجنبها الشباب في سـلوكهم، فيخلو المجتمع من مرض النفاق، فيصـلح ويسـعد، وهو حريص على تكوين جهاز الرقابة الإيمانية في نفوس الشباب ضمانًا لاستقامتهم، ورغبة في سعادتهم.

ثم هو يضـــع اللمســـات الإيمانية في كافة فروع العلوم الطبيعية والإنســـانية ليمتزج الدين بالعلم، فيكون العلم مُحَصَّناً بالفضيلة، محفوظاً من الاتجاه به نحو الفساد أو الرذيلة.

وسنحاول إبراز بعض هذه الجوانب ليتضح لنا عظمة الإسلام في تربية شبابه، وسُمُوِّه في توجيه عواطفهم ورغباتهم؛ والأخذ بأيدهم إلى منازل الكمال، والحرص على بلوغهم شـــأو الرجال.

أولا: التثقيف والتربية الجنسية[٦٤]

اهتم الإسلام بالجنس اهتمامًا منقطع النظير، ويظهر ذلك في إشباع الفقهاء القول في كل ما له علاقة بالأعضـــاء التناسـلية. فقد تكلموا بإســهاب عن ختان الذكورة وأنه من الفطرة، وخفاض النســـاء وأنه مكرمة، وتكلموا عن الخطبة والزواج، وأعطوا لهما حقهما من البحث والتنقيب، وإصـــدار الفتاوى الشـــرعية، وذكروا العيوب التي تُرَدُّ بها الزوجة، ومنها عيوب الفرج التي لا يمكن معها المعاشـــرة، ولم يهملوا الكلام عن قضـــايا العذارة والبكارة والثيبوبة، وقد فرَّقوا بين العذراء والبكر، وأعطوا لكل منهما حُكمًا مستقلاً، لا سيما عندما يصل الأمر إلى القضاء.

وتكلموا عن الحمل والولادة والرضـــاع، وحكم جماع المرضـــعة، وزواج المتعة والزنى والشذوذ الجنسي واللواط والسحاق وغير ذلك.

ويمارس الأزهر بين طلبته من البنين والبنات - كلّ في معهده - بداية من ســـن الأولى الإعدادية تدريس هذه الثقافة في الإطار الإســـلامي الذي يهدف إلى إيصـــال الحقيقة - العلمية أو النظرية - بواقعها إلى ذهن الطالب في وضـــوح؛ محاطة بســـلوك خُلُقِيٍّ رفيع، يجعل الطالب يمارسها عن قناعة.

---

[٦٤] نحن بصدد إخراج كتاب { الثقافة الجنسية للمرأة فى الإسلام } قريبا، لما وجدناه من كثرة إنتشار الكتب المغرضة فى الأسواق إضافة إلى نقص علم الكثيرين من المسلمين والمسلمات بتلك النواحى من الجانب الإسلامى

وهذه لمحة سريعة لبعض ما يدرسه الطالب الأزهري والطالبة في معهديهما، فيثقفان ثقافة جنسية في إطار الأحكام الشرعية، تنير لهما سبل المعرفة مع دين صحيح سليم، نقلناها من مقال الدكتور علي أحمد الخطيب رئيس تحرير مجلة الأزهر بعنوان (الأزهر والثقافة الجنسـية) عدد ربيع الأول ١٤١٦ هـ أغسطس ١٩٩٥ م حيث يقول: (ونقدم هنا جانبًا مختصرًا للغاية عن بعض هذه الدراسة).

أولاً: لكي يتعرف الطالب والطالبة بدقة على الوضـوء، ينبغي أن يعلما أولاً نواقض الوضوء عند الرجل والمرأة على سواء، وبالتالي يتعرفان على كل ما يخرج من السبيلين لديهما مما ينقض الوضوء، فيعرفان ألوان الماء الخارج من الرجل، ومكان خروجه صراحة، ويتعرفان على خصـيصـة هذا الماء من: بول، ومَذيٍّ، ووِدْيٍّ، ومَنِيٍّ، ووقت خروج كل من هذه الثلاثة الأخيرة، وسـبب خروجه، ثم كيفية الطهارة منه، ومتى يكون خروج أي من الأربعة ناقضًا للوضوء، أو موجبًا للغسل، ومتى لا يوجب وضوءًا ولا غسلاً؟.

وتقتضي دراسة خروج المني معرفة أسبابه، وما كان منها حلالاً، أو حرامًا، أو مكروهًا، وأحوال كلٍّ، وما يقتضـيه خروج المَنِيّ شـرعًا من وجوب الغسـل! ويتعرفان - كلٌّ من الطالب والطالبة - على ألوان الخارج من قُبل المرأة صـراحةً ماء أو دماء، وأسـبابها، ومتى تَمْنَعُ هذه الدماء مباشـرة الرجل لزوجته؟ ومتى لا تمنع مع وجودها؟ ويعتبر الطالب الأزهري - ومثله الطالبة - على علم دقيق بالتفريق بين دم الحيض والنفاس، ودم الاستحاضة، ودرجات هذه الدماء كثافة ورقة، وماء المرأة الذي يعقب الحيض تمامًا، وهذا الأخير لا تعلمه أكثر النسـاء!! ثم هما - الطالب والطالبة - أيضًـا على عِلْمٍ - في هذا المقام - بحال من ابتدأتْ الحيض، ومن اعتادته، وما ينبغي لكل منهما - حيال هذا الخارج منها.

ثانياً: وإذا درسا الغسل كان عليهما أن يدرسا موجباته الخمس، وفي مقدمتها المباشرة الزوجية، وكيف تتم، فيدرس كل منهما أمرها، وواجب المرأة حيالها، وواجب الرجل أيضًا، وآداب هذه المواصلة حتى لا يقع الرجل على زوجته كما تقع البهيمة على أنثاها .... الخ). انتهى.

وإذا انتقلنا إلى الحديث النبوي الشريف فإننا نجد الصحابة الكرام رضوان الله عليهم، والصحابيات الماجدات رضوان الله عليهن لم يترددوا أن يسألوا عن دينهم - سواء تعلَّق الأمر بالجنس أو بغيره - يستعملون الوساطة في السؤال أحيانًا لظروف خاصة، ويسألون طورًا آخر الرسول ﷺ مباشرة ومواجهة استفادة وإفادة.

نماذج من الأسئلة التى طرحت على الرسول

وهذه نماذج قليلة من الأسئلة التي طرحت على رسول الله ﷺ، ليعطي فيها الحكم والأدب اللائق بها، وقد استمع إليها ﷺ وأجاب عنها بوضوح تام بدون لوم ولا تثريب، مع العلم بأن النساء طرحن بعضها فى وجود رجال بالمسجد وكان صلى الله عليه وسلم يشجعهن ويحثهن على التفقه فى الدين:

الحيض:

روى الإمام البخاري عن عائشة رضي الله عنها ا أن امرأة سألت النبي ﷺ عن غُسلها من المحيض فقال لها: {**خذي فرصة من مسك فتطهري بها، قالت: كيف أتطهَّر؟ قال تطهَّري بها. قالت: كيف؟ قال سبحان الله!! تطهَّري، فاجتذبتها إليَّ فقلت: تبتغي بها أثر الدم** }.

الغسل:

روى الإمام مالك

{ أن الصحابي الجليل أبا موسى الأشعري ﷺ أتى السيدة عائشة ﷺ زوج النبي ﷺ، فقال لها: لقد شق عليّ اختلاف أصحاب النبي ﷺ، في أمر إني لأعظم أن أستقبلك به! فقالت: ما هو؟ ما كنت سائلاً عنه أُمَّك فسلني عنه. فقال: الرجل يصيب أهله ثم يكسل ولا ينزل، فقالت: إذا جاوز الختان فقد وجب الغسل، فقال أبو موسى الأشعري: لا أسأل عن هذا أحداً بعدك أبدًا).

الإحتلام:

عن عروة بن الزبير ﷺ أن أم سليم قالت لرسول الله ﷺ :

{ المرأة ترى في المنام ما يراه الرجل، أتغتسل؟ فقال لها رسول الله ﷺ : نعم فلتغتسل. فقالت لها عائشة: أفٍّ لكِ، وهل ترى ذلك المرأة؟ فقال لها ﷺ : تربتْ يمينُكِ، ومن أين يكون الشبه؟}.

وفي رواية السيدة أم سلمة ﷺ ا زوج النبي ﷺ أنها قالت:

{ جاءت أم سليم امرأة أبي طلحة الأنصاري إلى رسول الله ﷺ **فقالت** يا رسول الله: إن الله لا يستحي من الحقّ، هل على المرأة من غُسْلٍ إذا هي احتلمت؟ فقال: نعم إذا رأتْ الماء }

الزواج وقضية العسيلة:

روى الإمام البخاري عن السيدة عائشة :

{ أن رفاعة القرظي تزوَّج امرأة ثم طلَّقها، فتزوجتْ من آخر، فأتتْ النبيَّ ﷺ فذكرت له أنه لا يأتيها، وأنه ليس معه إلا مِثْلُ هدبه، فقال: لا، حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك }.

مباشرة الحائض:

عن أبي ميسرة عن السيدة عائشة ﵂ قالت:

{ كان النبي ﷺ يباشـــرني وأنا حائض، ويدخل معي في لحاف وأنا حائض، ولكنه كان أملككم لإربه }.

والمقصـــود من قولها: (يباشـــرني)، القُبْلَةَ والمُعَانَقَةَ ومَسِّ الثديين، وليس معناها الجماع، بدليل حديث عائشــة ﵂ أيضًــا كما هو في مسـند أحمد عن جميع بن عمير التميمى حيث انطلق مع عمته وخالته ليسأل عائشة ﵂ قال :

{ فسألتها: كيف كانت إحداكن تصنع لرسول الله ﷺ إذا عركت (حاضت)؟ فقالت: كان إذا كان ذلك من إحدانا ائتزرت بالإزار الواســع، ثم التزمت رســول الله ﷺ بيديها ونحرها}، وفي رواية الإمام النسائي فى السنن الصغرى عن جميع بن عمير:{ كَانَ يأْمُرُنَا إِذَا حَاضَتْ إِحْدانا أَن تَتَّزِرَ بِإِزَارٍ وَاسعٍ ثُمَّ يَلْتَزِمُ صَدْرَها وَثَدْيَيْهَا }

الألفاظ القرآنية فى المواضيع الجنسية

هذا وإذا انتقلنا إلى القرآن الكريم والأســـلوب الراقى فى التعبير؛ فإنا نجده الكتاب الحكيم يذكر:

- الحيض أربع مرات.
- ويذكر النكاح ثلاثًا وعشرين مرة.
- ويصرح بلفظة الزواج إسمًا أو فعلاً إحدى وثمانين مرة.

- ويذكر العملية الجنسـيَّة بعبارات مختلفة، تؤدي كلها نفس المعنى الذي هو الجماع ولكن بتعبيرات راقية وألفاظ سامية لا تخدش الحياء ولا تستثير الغرائز، منها:

١) المباشرة ، في قوله تعالى في [١٨٧- البقرة].: ﴿ عَلِمَ اللّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُواْ مَا كَتَبَ اللّهُ لَكُمْ ﴾

٢) الإتيان ، في قوله تعالى: ﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ ﴾ [٢٢٣- البقرة].:

٣) الإفضاء ، في قوله تعالى :﴿ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ [٢١- النساء].:

٤) الملامسة ، في قوله تعالى: ﴿ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاء فَلَمْ تَجِدُواْ مَاء فَتَيَمَّمُواْ ﴾ [٤٣- النساء].

٥) التغشِّي ، في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ ﴾ [١٨٩- الأعراف].

٦) الحرث ، في قوله تعالى: ﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ ﴾ [٢٢٣- البقرة].

٧) المسُّ ، في قوله تعالى: ﴿ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ ﴾ [٢٣٧- البقرة].

٨) الرفث ، في قوله تعالى: ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَآئِكُمْ ﴾ [١٨٧- البقرة].

٩) النكاح ، في قوله تعالى: ﴿ فَإِن طَلَّقَهَا فَلاَ تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ حَتَّىَ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ ﴾ [٢٣٠- البقرة]

١٠) الاستمتاع، في قوله تعالى: ﴿ فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ﴾ [٢٤- النساء].

ولا أنسى أن أذكر هنا من باب العلم أن بعض علماء الأديان المقارنة أسلموا لما تكشف لهم رقى الألفاظ القرآنية المستعملة فى المواضيع الحساسة مقابل ألفاظ فجة وخادشة للحياء فى كتب أخرى (سماوية) غير القرآن.

أسباب عناية الإسلام بالتربية الجنسية

لقد كان اهتمام الإسلام بالتربية الجنسية، لأن العاطفة الجنسية مظهر إنساني يؤثر في سلوك الإنسان، فكان لا بد من أن يتناوله التهذيب مع عدم البعد عن الحقيقة، ولذلك فالسلبية المطلقة والرد على تساؤلات النشء عن هذه العاطفة بقولنا: (عيب .. لا يصح)، طريقة غير سليمة في إفهامهم هذه النواحي الجنسية الطبيعية.

وفي ذلك يقول الأستاذ أحمد عبد اللطيف بدر [في كتابه (العاطفة الجنسية في ضوء الدين والعلم) ص ٤٠]:

(ونحن نترك أبناءنا يتيهون فيما يشعرون به في دور البلوغ من اختلاف جسمي وعقلي ونفسي، ونتركهم للطبيعة، وانحرافهم راجع إلى إهمالهم وعدم اللباقة في وقوفهم على حقائق واضحة، فحين يجد الناشئ نفسه قد أفرز في حلمه وهولم يألف! ذلك يخشى أن يصارح أباه في أمره، وكذلك البنت، ويتلقى كلاهما من المحيط الخارجي في صورة مشوهة ما يدور حول الناحية الجنسية وبذلك يكون الانحراف!! إن واجب كل أم أن تُعَرِّفَ ابنتها حقيقة العاطفة الجنسية من أنها شئ طبيعي يراد به حفظ النوع، ولها في الحيوان الأليف في البيت ما يذلل لها الصعوبة) انتهى.

ويقول أيضًا [في ص ٢٣ من نفس الكتاب]:

(تربية الغريزة في دور البلوغ تحتاج إلى حسن القيادة وجمال التصرف، فإن محاصرة البالغين والبالغات، والأخذ بالعنف في تقبيح نداء الغريزة يولِّد شعورًا خفيًّا بأن المباشرة الجنسية شيئًا غريبًا مستكرهًا بعيدًا عن الإنسانية، وقد يضل كثير من الأبناء والبنات لعدم التوجيه السديد.

وفي أوائل البلوغ تميل الأنثى إلى النوم كثيرًا، ويغرق الذكر في أحلامه، ويغيب عما حوله، ويريد التنفيس عما يلاقي من مظهر غريب عنه لم يألفه، وبخاصة حين يفرز في نومه المادة المنوية، ويخيل إليه أنه فريد في ظاهرته، فالواجب على الأم أن تعرِّف ابنتها كل ما يتصل بالحياة الجنسية في صراحة مع التحفظ وعدم التنزل والابتذال كما يفعل الكاتبون الذين يكشفون ليثيروا لا ليفيدوا).

هذا إلى أن الجهل بالتربية الجنسية يؤدي إلى ارتكاب مخالفات شرعية يقع فيها المرء وهو يظن أنه على صواب مثل:

- قد يمس الرجل ذكره بباطن كفه، أو المرأة باطن فرجا فيبطل الوضوء من كل منهما وهما لا يشعران.

- كم من فتاة اغتسلت بعد الطهر من المحيض بدون رفع موانع الحيض، وبدون احترام لشرائط الغسل وفرائضه، إنما أفرغت الماء على نفسها مصحوبًا بعقاقير وعطر وشبهه، لأنها كانت تعتقد أن النية والشروط والفرائض تخص المتزوجات.

- وكم من ملامسات سطحية وقعت بعد مراكنة الخطيبين لبعضهما وقبل العقد الشرعي، وهما يحسبان أن الخِطْبَة عقد! وقد أدت تلك الملامسات إلى حمل غير شرعي، والطب يثبت الحمل بمثل هذه الملامسات.

- وكم من مصائب أفرزها ما يعرف بالزواج العرفى الذى انتشر فى الأوساط الجامعية وليس فى حقيقته إلا صورة من الزنا!

ولهذا يقول الدكتور عبد الرحمن طالب الجزائري [في كتابه (التربية الجنسية في الإسلام) ص ٢١٣]:

(لقد دلت الدراسات عن المراهقين من الفتيان دلالة واضحة على أن فترة المراهقة هي فترة رغبات جنسية قوية. وقد ثبت أن ما يزيد على ٩٥% من المراهقين الذكور في المجتمع الأمريكي يكونون فعالين جنسيًا حين بلوغهم الخامسة عشر من العمر. وفي هذا دليل على الحاجة الكبرى للتربية الجنسية. ذلك بأن المراهق بحاجة لمساعدته فيما خص مشكلاته الجنسية، وفي إمكان المدرسة والبيت أن يساعدا المراهق كثيرًا في هذا الخصوص) انتهى.

تربية الأطفال جنسياً

ويراعى فيها أن تواكب مراحل نموهم وتتلخص فيما يلي:

أولا - ستر العورة:

فالمطلوب من الآباء أن يربوا أولادهم منذ الصغر على تغطية عوراتهم حتى ينشأوا على الحياء والحشمية. وعورة الصغار اختلفت فيها المذاهب:

فالشافعية شدَّدوا وجعلوا عورة الصغير ولو غير مميز كالرجل، ما بين السرة والركبة، والمالكية خفَّفوا فجعلوا ابن ثماني سنوات لا عورة له، فجوَّزوا النظر إلى جميع بدنه، وتغسيله ميتًا، وكذا بنت ثلاث سنوات وثمانية أشهر لا عورة لها، ولكن بنت ثلاث سنوات لها عورة بالنسبة للمس، فليس للرجل أن يغسلها، أما بنت ست سنوات فهي كالمرأة، أما الحنابلة والأحناف فإنهم توسَّطوا في قضية عورة الأطفال بالنسبة للنظر والصلاة.

ثانيًا ـ التفرقة بينهم في المضاجع:

فالشرع يطلب أن يفرق الأبوان بين أبنائهم وبناتهم في النوم إذا ما بلغوا عشر سنين، وذلك فيما رواه الإمامان الحاكم وأبو داود بسنديهما عن النبي ﷺ أنه قال:

{ مروا أولادكم بالصـلاة وهم أبناء سـبع سـنين، واضـربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع }.

قال السيد عبد الله علوان معلقًا على هذا الحديث: (فيؤخذ من هذا النص أن الآباء والأمهات مأمورون شرعاً بأن يفرقوا بين أبنائهم في المضجع إذا بلغوا سن العاشرة مخافة إن اختلطوا في فراش ـ وهم في سن المراهقة أو ما يقاربها ـ أن يروا من عورات بعضهم البعض في حال النوم أو في اليقظة ما يثيرهم جنسيًا أو يفسدهم خلقيًا) انتهى.

وفي صحيح البخاري:

{ أن النبي ﷺ أردف الفضل بن العباس رضي الله عنهما يوم النحر خلفه، وكان الفضل قد ناهز البلوغ، فطفق الفضل ينظر إلى امرأة وضيئة من خثعم، كانت تسأل النبي ﷺ عن أمور دينها، فأخذ النبي ﷺ بذقن الفضـل، فحوَّل وَجْهَهُ عن النظر إليها }. وفي رواية الإمام الترمذي: { أن العباس قال للرسول ﷺ : لويت عنق ابن عمك؟ فقال ﷺ : رأيت شاباً وشابة فلم آمن عليهما الفتنة }.

وهذا الحديث وشـبهه كثير في السـنة، ويؤخذ منه اهتمام الرسـول ﷺ بأخلاق المراهقين والشباب حتى يربوا وينشئوا تنشئة حسنة إسلامية.

ثالثًا ـ تعليم الأولاد أحكام المراهقة:

يدعو الإســلام المربين إلى مصــارحة من هم تحت تربيتهم ووصــايتهم، بكل ما له علاقة بالأحكام الشــرعية المتصــلة بالجنس، وعلاقات البلوغ مثل الحيضّ، والإســتحاضــة والحملٌ، وخروجُ منيٍّ والمذى وإنبات شـعر العانة، وبالطبع يبدأون بعلامات البلوغ وهي المشــار إليها في "المرشد المعين" بقوله:

وكل تكليف بشرط العقل　　مع البلوغ بدم أو حمــل

أو بمنيّ أو بإنبات شـعر　　أو بثمان عشرة حولاً ظهر

رابعًا - تجنيب الأبناء الإثارات الجنسية:

وهذا باب فى غاية الأهمية فقد فتحت أبواب الإثارة الجنسـية على مصـراعيها فى هذا العصر، ونذكر منها على سبيل الشهرة لا الحصر فمنها:

١. الأنترنت وموقع الإباحيات والخلاعة والفجور والتعارف التى لاتعد ولا تحصى، ووسـائل العرض المختلفة من أجهزة الكمبيوتر والهواتف النقالة وغيرها من الأجهزة الصـغيرة الحجم السـهلة التدوال والمتطورة بما يشـمل الوسـائل الحديثة للتواصـل الإجتماعى من التشـات والمحادثة المصـورة على الإنترنت أو ڤيديو على الموبايلات حيث قلت التكلفة وانعدمت الرقابة وانفتحت السماوات.

٢. أفلام الخلاعة التي تعرض في السـينما أو على شـاشـة التليفزيون قادمة من الفضـائيات وقنوات الأغانى والكليبات والتسـويق وقنوات الفجور العلنى وتلك الأفلام التي تتكلم عن الجنس لا لغرض تربوي شرعي، وإنما للإثارة.

٣. الصـور العارية المصـورة والمعروضـة في أندية السياحة والأندية عموما ودور بيع الصحف وحتى على الأوراق البريدية وطوابعها.

٤. الجرائد والمجلات التي تعرض الجمال الجسمي والملابس الداخلية، والتى تظهر من خلالها المفاتن الجسـدية، ناهيك عن المجلات الإباحية الجنسـية المعروفة والمنتشـرة وأيضـاً المجلات الإجتماعية وأخبار الفن وغيرها، وحتى المحلات التى كثرت وانتشـرت لعرض الألبسـة الداخلية أو اللانجيرى للسيدات وكل فاترينات العرض الخارجية مليئة بالمعروضات المجسمة.

٥. الكتيبات التي ترسـم الأعضـاء التناسـلية وتصـورها، ووتشـرح جميع الأفعال المخلة بالحياء والتى تشـمل بعضـها أيضـا الشـذوذ، والتي توجد بالمكتبات وحتى على الأرصـفة وبالأكشاك، والتي تعرض أحيانًا جهرًا بلا خجل ولا حياء، وطورًا في الظلام وفي الخفاء.

٦. قصـص وسـلاسل المطبوعات وروايات الخلاعة التي تصـور العشـق والمجون، وتدعو للإثارة والرذيلة وترك القيم والآداب الإسلامية.

٧. الاختلاط مع الأشــرار المائعين المنحرفين من الجنســين الذين انتشــروا فى كل حدب وصوب، وقد قال في ذلك الشاعر:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكلٌ قَرِينٍ بالمقارن يقتــدي

٨. الإحتكاك بالنساء لا سيما في المواصلات العامة، أو الحضور معهن في الحفلات المختلطة.

٩. إنتشــار الكافيهات التى يتعاطون فيها التدخين بأنواعه ويجلس الشـباب والشــابات معا بلا رقيب ولا حياء وكم فيها من أماكن منعزلة أصـبحت مرتعا لنشـر الرذيلة وتسـويق بائعات الهوى!

خامساً :تعليم أدب الدخول على النساء والإستئذان على الوالدين

والله تعالى قد أباح للطفل أن يحضـــر مع النســـاء فيما إذا لم يكن يفرق بين المرأة الجميلة والدميمة لقول الله تعالى: ﴿ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاء ﴾ [٣١- النور].

يقول ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: (يعني لصغرهم لا يفهمون أحوال النساء وعوراتهن من كلامهن الرخيم، وتعطفهن في المشية، وحركاتهن وسكناتهن، فإذا كان الطفل صغيرًا لا يفهم ذلك فلا بأس بدخوله على النســـاء، أما إذا كان مراهقًا أو قريبًا من المراهقين بحيث يعرف ذلك ويدريه، ويفرق بين الشوهاء والحسناء فلا يُمَكَّنْ من الدخول على النساء).

وقد ثبت في الصحيحين عن سيدنا رسول الله ﷺ أنه قال:

{ إياكم والدخول على النســاء، قيل يا رســول الله، أَفَرَأَيْتَ الحَمْوَ - أي قريب الزوج؟ قال: الحَمْوُ المَوْتُ }

وهؤلاء الأطفال - وإن ســـمح لهم الشـــرع بالدخول على أهليهم، والدخول عليهم بدون اســتئذان - فإنه حذرهم وألزمهم الإســتئذان حتى على الآباء في أوقات ثلاثة، فقال جلَّ شــأنه في (٥٨النور):

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ وَلَا عَلَيۡهِمۡ جُنَاحُۢ بَعۡدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم بَعۡضُكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴾

ففي هذه الأوقات الثلاثة لابد أن يســـتأذن الخدم والأطفال على آبائهم وأهليهم حتى لا تقع أعينهم على عورات مكشوفة.

والأوقات التي يجب الاســـتئذان فيها هي: حين يكون الناس عادة في لباس النوم، ووقت القيلولة حين يتخفف المرتاحون من الثياب الثقيلة الضـــيقة، وما بعد العشـــاء حين يتهيأ الرجال والنساء للنوم والاستراحة.

والاستئذان قبل الدخول هنا يتناول الذكور والإناث معاً، ويجب الاستئذان أيضًا على إناث الأطفال في العورات الثلاث، أما البالغات منهن ففي غير هذه الأوقات أيضًا، وهذا أمر بديهي.

علاج الإسلام للزنى

الزنا عادة سـيئة قديمة تحدث بين الرجال والنسـاء، فتؤدي إلى اختلاط الأنسـاب، وهتك الأعراض، وإذهاب العفة والفضيلة. وحديثنا عن الزنا يشمل اللواط والسحاق أيضًا لأنهما من هذا الباب، بل إن التحريض على الفحشاء بجميع أنواعها من الزنا، لأن الدال على الشئ كفاعله.

والله تعالى لما حرَّم الزنا حرَّم كذلك مقدماته فقال: ﴿ وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَـةً وَسَاء سَبِيلاً ﴾ [٣٢- الإسراء].

وأما اللواط وهو إتيان الذكر للذكر فقد ذكره الله تعالى في قصة لوط عليه السلام، فقال فى [٨٠، ٨١- الأعراف]:

﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّن الْعَالَمِينَ. إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاء بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾

وأما السـحاق أو المسـاحقة - التي تسـمى بلغة العصـر (الملامسـة السـطحية وتحدث بين النساء)، فهي محرمة باتفاق العلماء لقوله ﷺ:

{ وَلاَ تُفْضِي الْمَرْأَةُ إِلَى الْمَرْأَةِ فِي الثَّوْبِ الْوَاحِدِ } [٦٥]

٦٥ صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدرى عن أبيه

أسباب إنتشار الآفات الجنسية فى المجتمع

وأسباب هذه الآفات أو الأمراض كما وضحتها الشريعة كما يلي:

الاختلاء بالمرأة الأجنبية:

أي مجالستها في مكان مغلق بدون محرم، وقد إنتشر التهاون فى هذا الأمر وكم نتج عنه من المصائب بين الخاطبين وزملاء الجامعة والجيران والأقارب بلا وازع ولا ضابط!! ولقد نهى رسول الله ﷺ عن ذلك نهيًا قاطعًا في عدة أحاديث منها قوله ﷺ الذى رواه ابن عباس فى المسند الجامع:

{ لاَ يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إلاَّ وَمَعَهَا ذُو مَحْرَمٍ }.

النظر المحرم إلى محاسن المرأة بأى وسيلة كانت:

وقد منع الإسلام عن النظر إلى محاسن المرأة ومفاتنها وزينتها في عدة آيات قرآنية، منها قوله:

﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ [٣٠، ٣١- النور]

وقد أشار إليها الرسول ﷺ في قوله:

{ مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَنْظُرُ إِلَى مَحَاسِنِ امْرَأَةٍ ثُمَّ يَغُضُّ بَصَرَهُ إِلاَّ أَحْدَثَ اللَّهُ لَهُ عِبَادَةً يَجِدُ حَلاَوَتَهَا }[٦٦]

والنظر محرَّم على الرجال والنساء على حد سواء، وعمى أحد الجنسين لا يسمح للطرف الآخر برفع بصره للنظر فيه، وفي حديث أم سلمة رضى الله عنها فى سنن أبى داود وغيرها ما يدل على ذلك حيث قالت:

{ كُنْتُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ وَعِنْدَهُ مَيْمُونَةَ، فأَقْبَلَ ابنُ أُمِّ مَكْتُومٍ، وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ أُمِرْنَا بالْحِجَابِ، فقالَ النَّبيُّ ﷺ: احْتَجِبَا مِنْهُ، فَقُلْنَا يَا رَسُولَ الله أَلَيْسَ أعْمَى لا يُبْصِرُنَا وَلاَ يَعْرِفُنَا؟ فقالَ النَّبيُّ ﷺ أَفَعَمْيَاوَانِ أَنْتُمَا؟ أَلَسْتُمَا تُبْصِرَانِهِ؟ }

الاستماع إلى صوت المرأة المرخم:

لأن صوت المرأة في حد ذاته ليس بعورة، بدليل أنها يجوز التعليم والتعلم، والبيع والشراء، وأداء الشهادة، والإعلان عن الجرح والتعديل. وقد باشرت الصحابيات رضوان الله عليهن مثل هذه الأعمال في العصر النبوي وعصر الخلفاء الراشدين، وإنما الممنوع الصوت المرخَّم الذي يحدث شهوة وطمعًا عند الرجال.

وفي القرآن الكريم تربية واضحة للنساء عند مخاطبتهن الرجال حيث قال جل شأنه فى (٣٢الأحزاب):: ﴿ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفًا ﴾.فالخضوع بالقول: ترقيقه وترخيمه. والقول المعروف: الكلام الحسن العفيف الذي لا لين فيه ولا تكسير.

٦٦ مجمع الزوائد، رواه أحمد والطبراني عن أبي أمامه

وقد بين القرآن تربية أخرى للنساء اللائي يحدثن صوتًا بسبب احتكاك حليهن: الخلاخل، أو القلائد والأساور وشبهها بالقرب من الرجل، لأن السماع كالنظر، فالكل يحدث إثارة جنسية، قال تعالى:

﴿ وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ﴾ [٣١ النور]

قال ابن عباس ﷺ ما في هذه الآية:

{ كانت المرأة تمرُّ بالناس فتضرب برجلها لتُسمع صوت خلخالها، فنهى الله عن ذلك لأنه من عمل الشيطان }

شم أنفاس المرأة واستنشاق عطرها الذي تعطرت به:

فأما شم أنفاسها فيحدث عند الاقتراب منها، والاحتكاك بها، وهذه الأنفاس مثيرة للجنس ولو لم تكن مشوبة بعطر، ولا يمكن التحرز من هذه الأنفاس إلا بالابتعاد، ولذلك أورد ابن الحاج في المدخل حديث:

{ بَاعِدُوا بَيْنَ أَنْفَاسِ النِّسَاءِ وَأَنْفَاسِ الرِّجَالِ }

وأما استنشاق عطر الأجنبية فقد ورد فيه قوله ﷺ فى صحيح بن حبان عن أبى موسى الأشعرى ﷺ:

{ أَيُّمَا امْرَأةٍ استَعْطَرتْ، فَمَرَّتْ على قَوْمٍ لِيَجِدُوا رِيحَها فهي زَانِيَةٌ، وكُلُّ عَيْنٍ زَانِيَةٌ }

لمس أعضاء المرأة: بالمباشرة الجسدية أو التقبيل أو المصافحة

فقد روى معقل بن يســـار ﷺ فيما أخرجه الطبرانى والبيهقى قوله ﷺ :(لأن يطعن في رأس أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له).

{ لأَنْ يُطْعَنَ فِي رَأْسِ أَحَدِكُمْ بِمِخْيَطٍ مِنْ حَدِيدٍ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمَسَّ امْرَأَةً لا تَحِلُّ لَهُ }

(المخيط هو ما يخاط به كالإبرة والمسلة ونحوهما).

نقص التربية متمثلاً فى قلة المروءة من طرف الزناة:

لأن المزني بها هي ابنة أو زوجة أو أخت، أو أم لمسلم، أو قريبته،ولا يرضى الزاني مهما كان متســيِّباً أن تهتك حرماته بالزنى، ولا يقبل أن يُمس في شــرفه، وحرمة أســرته أو أهله، فلو اســتعمل الزاني عقله مليًّا لما ارتكب فاحشــة الزنا! وفي الحديث عن أبي أمامة أن فتىً شــابًا أتى النبي ﷺ فقال:

{ يا رسول الله إئذن لي في الزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه، وقالوا: مه مه، فقال ﷺ : أدنه فدنا منه قريبًا، فقال: أتحبه لأمك؟ قال: لا، وجعلني الله فداك، قال: وكذلك الناس لا يحبونه لأمهاتهم، قال: أفتحبه لابنتك؟ قال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداءك. قال: ولا الناس يحبونه لبناتهم، قال أفتحبه لأختك؟ قال: لا والله، جعلني الله فداءك. قال: ولا الناس يحبونه لأخواتهم. قال: أفتحبه لعمتك؟ قال: لا والله، جعلني الله فداءك قال: ولا الناس يحبونه لعماتهم، قال: أفتحبه لخالتك؟ قال: لا والله، جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لخالاتهم. قال: فوضع يده عليه وقال: اللهم اغْفِرْ ذنبه، وطهِّرْ قلبه، وحصِّنْ فرجه، فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شئ }.

نقص التربية

أيضـــاً ولكن متمثلاُ فى عدم الوعي بما يحدثه الزنى من أخطار صـــحية ونفســـية وخلقية ودينية:

فالخطر الصحي:

فمرض الســـيلان ينتقل عن طريق الزنى، وهو يســـبب التهابًا حادًا ومزمنًا في الرحم والخصـــيتين، وقد يؤدي إلى العقم، وإلى التهاب في المفاصـــل، وقد يؤثر على المولود فيصـــاب بالعمى. وكذلك أمراض التقرحات الجنســـية؛ والتي تنتقل بالالتقاء الجنســـي المحرم، وتســـبب في العقد البلغمية، وقد تؤدي إلى خراجات قيحية مزمنة، والتهابات في المجاري البوليه، وكذلك مرض الزهرى.

وقد يصـاب بعض الأولاد بمرض النضـج الجنسـي المبكر نتيجة لتهيج الشـهوة قبل أوانها، واستثارة الغريزة قبل اكتمالها.

وبالطبع وأخطر ما يســـببه الزنا مرض (الإيدز) والذي يؤدي إلى فقدان مناعة الجســـم المكتســـبة للجســـم وهو ما يعانى منه العالم معانة فادحة ولا علاج له إلى الآن ويعد أحد أســـباب الوفاة الرئيسية فى العالم.

أما الخطر النفسي والخلقي:

قد يصـاب هذا الشهواني المندفع نحو البهيمية بمرض اللواط والسحاق، وهو مرض خطير من نتيجته اكتفاء الرجال بالرجال،(وبدوره يؤدى إلى الأيدز) والنســـاء بالنســـاء ، وقد يصـــاب بمرض الهوس الجنسي، حيث ترى المريض الشهواني المندفع مشغولاً في جميع أوقاته بتخيلات شـهوانية غريزية من نكاح وتقبيل، وضـم وعناق، وشـبه ذلك، وتراه منصـرفًا عن كل شـئ، فيكثر نسيانه ويقل اهتمامه، وتشتد غفلته ويضعف انتباهه ويفشل فى عمله، وتراه كأنه مخمور، أو كأنه محزون. وتسبب هذه الظاهرة الأليمة نحولاً في الجسم، وضعفًا في الذاكرة، وقلقًا في النفس وعادة ما تقوده تلك الممارسات للمخدرات أو المسكرات أثناء سيره فيها أو نتيجة لمعاناته بسببها!،

وهناك أخطار اجتماعية لذلك:

وهي عدم تكوين الأسر، وظلم المواليد الذين يولدون من غير زواج شرعي، ارتفاع نسب الطلاق عندما عندما تتاح فرص الزواج الطبيعى لهؤلاء الزناة أو الشواذ فهم كثيرا ما يفشلون إما لتعودهم على الساقطات! أو على المخدرات أو العادة السرية أوالممارسة بالتخيل فقط أو الشذوذ مع الرجال أو النساء، أو لعدم ثقتهم فى أية نساء فيقتلهم الشك والغيرة فيطلقون! وكم من زيجات وزيجات فشلت بسبب ذلك!!

والخطر الديني:

فالفرد الذي لا يستعف عن محارم الله، ولا يصون نفسه عن مزالق الشهوة والفتنة، يصاب بأربع خصـــال ذميمة، ذكرها النبي ﷺ ، فيما رواه الطبراني في الأوســط حيث يقول ﷺ : { إياكم والزني، فإن فيه أربع خصال: يذهب البهاء من الوجه، ويقطع الرزق، ويسخط الرحمن، ويسبب دخول النار }.

إِيَّاكُمْ وَالزِنَا فَإِنَّ فِيهِ أَرْبَعَ خِصَـــالٍ: يُذْهِبُ الْبَهَاءَ عَنِ الْوَجْهِ، وَيَقْطَعُ الرزْقَ، وَيُسْخِطُ الرَّحْمنَ، وَالْخُلُودَ فِي النَّارِ [٦٧] ومن الخطر الدينى أيضاً أن الزاني حين يزني ينسلخ من ربقة الإيمان، فقد روى الإمامان البخاري ومسلم عن النبي ﷺ ، أنه قال: { لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن }

---

[٦٧] طس عد) عن ابنِ عبَّاسٍ رضيَ اللَّهُ عنهُمَا

عدم التبكير بالزواج:

فالتبكير بالزواج مما يساعد المرء على التقوي والابتعاد عن الزنى، وقد قال ﷺ فى الحديث المحفوظ للجميع الذى هو علامة فارقة لجميع الشباب: { يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ }

والشباب الذين نادى عليهم الرسول ﷺ، هم من بلغوا الحلم ولم يتجاوزوا ثلاثين سنة.

والباءة الجماع، والوجاء كخصاء لفظًا ومعنى أي قامع للشهوة.

وإذن فكل من بلغ وكانت له القدرة على الإنفاق والجماع، فهو مطالب بالزواج.

والزواج يساعد على غضِّ البصر عما لا يحلُّ، ويحفظ فرجه من الزنى.

والزواج شرع الله، فمن فمن تركه متعمدًا فقد ترك سنة محمودة.فى سنن البيهقى الكبرى

{ وفي الحديث الذي يرويه أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: مَنْ كانَ مُوْسِراً لأَنْ يَنْكِحَ فَلَمْ يَنْكِحْ، فَلَيْسَ مِنَّا

وإذا عجز المرء عن الزواج لأسباب قاهرة:

فعليه بالصـــوم، فإنه يخفف من حرارة الشـــهوة، ويقلل من الغلمة لقوله ﷺ : { وَمَنْ لَمْ يَسْـتَطِيعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّـوْمِ، فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ } وليلازم جانب العفَّة حتى يتيسـر له أمر الزواج، ، وفى كتاب الله تعالى:﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمْ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ﴾ [٣٣- النور]. أي فليجتهد المسـلم في العفة وقمع الشـهوة ما دامت لم تيسـر له سـبل الزواج، فإن العبد إذا اتقى الله جعل له من عسره مخرجًا.

ويجب على المجتمع أن يجتهد لتيســير الزواج وتوفير الســكن وفرص العمل، وأقول فى ذلك أن عودة الأخلاق والمعاملات الإسلامية الرحيمة والأساليب التى تمسك بها سلفنا فى الزواج عليها معول كبير لتيسير الزواج.

فقدان الرادع:

أما ردع الزناة بالجلد والتغريب أو الرجم، فهو آخر الأسلحة لعلاج هذه القضية الفتَّاكة.

فمن لم يستطع غلق الأبواب المفتحة على الزنى المشار إليها سابقًا، ولم يقدر على دفع الفحشاء، ولم يمتثل للسنة النبوية التي أمرت بالزواج، ولم يقم بالصوم كعلاج نبويٍّ وقائي قامع للشهوة، ثم ارتكب الزنى، فالشرع أمر بجلده وتغريبه إذا كان عزبًا، أو رجمه بالحجارة حتى يموت إن كان محصنًا، والمحصن رجلاً كان أو إمرأة، هو كل من سبق له زواج شرعي، سواء بقي في زواجه أو طلق وأصبح ثيِّباً، قال تعالى:﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ وَلۡيَشۡهَدۡ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢ ﴾ [٢- النور]، أما المحصن الذي سبق له زواج شرعي فيرجم بالحجارة حتي يموت

وقد ورد حديث الرجم في الصحاح عن عبد الله بن عباس ﷺ ما قال:

{ خطب عمر فقال: إن الله تعالى بعث محمداً ﷺ بالحق، وأنزل عليه الكتاب، فكان فيما أنزل عليه آية الرجم، فقرأناها ووعيناها، ورجم رسول الله ﷺ ورجمنا، وإني خشيت إن طال زمان أن يقول قائل: ما نجد الرجم في كتاب الله تعالى، فيضلون بترك فريضة أنزلها الله تعالى، فالرجم حقٌّ على من زنى من الرجال والنساء إذا كان محصنًا إذا قامت البينة أو كان حمل أو اعتراف، وأيم الله لولا أن يقول الناس: زاد عمر في كتاب الله تعالى لكتبتها }.

وقد أخرج الإمامان أحمد وابن حنبل، والطبراني في الكبير من حديث أبي أمامة بن ســـهل عن خالته العجماء أن فيما نسخ مما أنزل الله من القرآن:

{ الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة، بما قضيا من اللذة }.

علاج الإسلام لإنتشار الآفات الجنسية فى المجتمع

وعلاج الإسلام لهذه الأمراض الخطيرة يقوم أساسًا على:

- سد الأبواب المفتّحَة التي تؤدي إليها وغلق الدواعي التي تتسبب فيها وهذا أمر واسع يتطلب تضافر وتعاون الجميع وبدون استثناء وعلى جميع الأصعدة.
- تخصيص دروس تربوية واعية في هذا الميدان للتوعية وتكوين المروءة وتهذيب الأخلاق وترسيخ المعنى لدى الشباب أن التنظيم والتشريع الإسلامى لتصريف الطاقة الجنسية إنما جعل لمصلحة الشاب والفتاة والمجتمع برمته لا للتعنت ولا لحرمان أحد من سعادته.
- ثم التعجيل بتزويج الأيامى بعد انتهاء سن المراهقة والدخول في سن الشباب ويدخل فى ذلك تيسير الزواج.
- مع الرجوع إلى إقامة الحدود الشرعية لأنها الصالحة للردع في كل زمان ومكان.

وهكذا نجد أن نظرة الإسلام إلى الجنس قائمة على إدراك فطرة الإنسان، ورامية إلى تلبية أشواقه وميوله، حتى لا يتجاوز أي فرد حدود فطرته، ولا يسلك سبيلاً منحرفًا يصطدم مع غريزته، وقد أنزل الله من التشريعات والأحكام ما يلبي حاجات هذه الميول والغرائز، وما يكفل لها الاستمرار والنماء والبقاء. وما الزواج الشرعي إلا تلبية لغريزة الميل إلى الجنس الآخر ليسير الإنسان مع فطرته الجنسية، وميله الغريزي بكل تلاؤم. ولذلك حرَّم الإسلام العزوف عن الزواج والزهد فيه ولو بنية التفرغ للعبادة، والتقرب إلى الله،

بل من نظرة الإسلام الصائبة إلى الجنس أنه اعتبر تصريف الشهوة بالحلال، وإشباع الغريزة بالزواج، من العمل الصالح الذى يثاب عليه المسلم. ففى الحديث الشريف روى مسلم في صحيحه عن أبي ذر الغفاري ﷺ :

{ إن لكم بكل تسبيحة صدقة، وبكل تكبيرة صدقة، وبكل تهليلة صدقة، وبكل تحميدة صدقة، وأمر بمعروف صدقة، ونهيٌ عن منكر صدقة، وفي بضع أحدكم صدقة؟ قالوا يا رسول الله، أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال ﷺ : أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر؟ قالوا: بلى، قال: فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له فيها أجر }.

ثانيًا: التربية الإيمانية.

ويقصـــد بالتربية الإيمانية هنا تربية الشـــباب على أخلاق أهل الإيمان، وتدريبهم على السلوكيات الإسـلامية؛ حتى يصـيرون يمثلون الإسـلام في كل حركاتهم وسـكناتهم، ويكونون هم المعنيون بقول الله ﷻ :

﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾ [١٣- الكهف].

مسئولية الآباء في متابعة الأبناء

وهذه المسئولية كلفهم بها الله ﷻ ورسوله ﷺ .

فيجب على كل مؤمن أن يكون له عين يقظة على تصـــرفات أولاده وبناته، ترعاهم عند الصــلاة، وترعاهم عند مشـاهدة التلفاز، وترعاهم عند اختيارهم للأصـدقاء حتى لا يصـطحبون قرناء السـوء، وترعاهم عند ممارسـة هواياتهم، وتراقبهم في عاداتهم، ويوجهونهم إلى الكمالات الإنسانية، والأخلاق الإيمانية باللطف والرقة واللين

فيا أخي المؤمن اجعل نصب عينيك قوله تعالى:﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ﴾ [١٣٢- طه].

وإياك أن تأخذك الشـفقة بولدك أو ببنتك أيام الامتحانات، وتقول: الولد مشـغول وليس من المهم أن يحافظ على الصــلاة الآن؛ لأنه مشـغول بالاسـتذكار - وهذا ما يلجأ إليه بعض ضـعاف النفوس، مع أن الله ﷻ لا يبارك في عمل يلهي عن الصلاة.

أو ربما تقول له : اذهب أولاً إلى الدرس، واجمع الظهر مع العصــــر، ولا بأس عليك في ذلك. بل عليك أن تجعل أكبر همِّه، وأعظم حرصِـهِ على العمل بأحكام دينه، والاقتداء بسـنن نبيّه، وتنفيذ أوامر ربـه، حتى تكون مطمئن البـال إلى أنـك أنجبت رجـالاً يمتثلون لأمر الله، وينفذون تعاليم الله.

واحكي لهم الأمثلة الطيبة من قصـص سـلفنا الصــالح، بل ومن عبر هذه الحياة بما يجعلهم يتمسكون بالفضيلة، ولا ينخدعون بما تنشره لهم بعض وسـائل الإعلام، والتي تصـور لهم براعة الغش ومهارة الخداع، وتزيِّن لهم أقصــر طريق للوصــول إلى مآربهم الدنيوية وآمالهم الفانية هو الخداع والمؤامرات وأسـاليب النفاق. فإذا فعلت ذلك فنم بعد ذلك في قبرك قرير العين، وتأكد أنهم في حصن الله وفي كنفه ﷻ.

فقد ورد عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أنه خلف وراءه ثلاثة عشر ولدًا، ولم يترك لكل واحد منهم إلا دينارًا واحدًا عند وفاته - مع أنه كان خليفة المسـلمين - فعاتبه بعض أقاربه وقالوا يا أمير المؤمنين، تركت أولادك ضــياعًا!! فقال رضي الله عنه أولادي أحد رجلين: أما الصـــالح منهم، فيتولاه الله: ﴿ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّـــالِحِينَ ﴾ [١٩٦-الأعراف]، وأما الطالح منهم، فما كنت أترك له ما أعينه به على فسـقه وفجوره؛ فأشــاركه في الوزر، فلم يمر عليهم عام واحد بعد وفاته إلا وقد حصّــل كل رجل منهم مائة ألف دينار من التجارة الحلال بركة من الله ﷻ بسبب هذا الأب الصالح.

وقد حكى القرآن الكريم أن الله ﷻ أرسـل نبيًّا كريماً ووليًّا عظيماً إكرامًا للجد الســابع في قوله سبحانه: ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا ﴾ [٨٢- الكهف].

فقد روي أن المقصود بالأب الصالح في هذه الآية كان الجد السابع لهؤلاء الأبناء، فأرسل الله إليهم نبيًا كريمًا، ووليًا صـالحًا ليقيما الجدار الذي تصـدَّع ببيتهم، حتى يبلغا الرشـد ليسـتخرجا كنزهما عناية من الله بسـبب صـلاح جدَّهم السابع!! فما بالك إذا كان الأب الصـلب صـالحاً؟ وماذا يكون حال أولاده وأهله وذويه؟!!

وهناك المثال المغاير، أولاد الخليفة الأموي هشـــام بن عبد الملك، فقد ترك ثمانية عشـــر ولدًا، وترك لكل واحد منهم مائة ألف دينار، فلم يمر عليهم عام واحد إلا وصــاروا يتكففون الناس بعد أن ذهبت أموالهم في اللهو والشهوات؛ وذلك لأنه لم يربيهم على التُّقى والإيمان.

فأول تكليف كلَّفك بـه الله ﷻ نحو أولادك أن تحفظ عليهم الإيمـان، وأن تربيهم على قيم الإسلام وعلى تعاليم النبي العدنان، وأن توالي هذه القيم بنفسك؛ لأن مجتمعنا لن تنصلح أحواله إلا إذا ظهرت القيم الإسلامية.

فإن المجتمع لن ينصــلح حاله ولو كان كله مهندســو وأطباء، إلا إذا كانوا متخلقين بأخلاق السـماء، لكن ماذا ينفع الكم الكبير من المهندسـين والأطباء وغيرهم، إذا لم يكن عندهم مراقبة لله، ولا يتورعون عن الغش لعباد الله، ولا يرحمون البائس والفقير والمسكين ويتنازلون له عن الأجر ابتغاء وجه الله! فقد وصف الله ﷻ مجتمع المؤمنين بوصف جميل فيقول فى (٢٩الفتح):

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴾

وليس معنى هذا أننـا ننكر مـا يفعلـه الآبـاء نحو أولادهم من تســـابق إلى حجز الدروس الخصـوصـية لضـمان تفوقهم في الدراسـة، ومتابعتهم الجادة في تحصـيل علوم الحياة الحديثة، فإن هذا ما دعا إليه الإسـلام. بل إن الإسـلام يجعل كل شـئ يوفره الأب لابنه من طعام أو شـراب، أو ملبس أو درس، يُثاب الأب عليه إذا صدقت نيته، لقوله ﷺ :

{ نفقة الرجل على أهله كالنفقة في ســـبيل الله، الدرهم بمائة ألف درهم }، **وقوله :** { دينار أنفقته في ســـبيل الله، ودينار تصـــدقت به على الفقراء والمســـاكن، ودينار أعتقت به رقبة، ودينار أنفقته على أهلك، خيرهما وأعظمهما أجرًا عند الله الذي أنفقته على أهلك }[٦٨].

٦٨ رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

فكل مال ينفقه على أهله وولده فله ثوابه عند الله ﷻ، وألا يطالب ولده بعد تخرجه بعوض ما أنفقه عليه، أو يعيره بما أنفقه عليه ويقول له: لقد أنفقت عليك كذا وكذا، ولكن كل هذا لم ينفع، ولم يؤثر فيك.

لكن الذي أريد أن أنبه نفسـي وإخواني المسـلمين إليه، هو أن معظمنا يظن أن كل ما عليه نحو أولاده هو تربية أجسـامهم، وقد يزيد البعض على ذلك تعليمهم العلوم العصـرية في المدارس والجامعات ويفسـرون بذلك قوله ﷺ : { كلكم راع، وكلكم مسـئول عن رعيته }، ونسـينا المهمة العظمى وهي التربية الإيمانية والتي إليها الإشارة بقول الله فى (٦التحريم):﴿

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾

و(قوا) يعني: احموا واحفظوا أنفسـكم وأزواجكم وأولادكم وبناتكم من غضـب الله وعذاب الله بتربيتهم التربية الإيمانية الحقة.

وهنا يا إخوانى الكرام أجمل لكم تلك الأسس فيما يلى:

أولا: القيم الإسلامية

فالصـــدق والأمانة والمروءة والوفاء والســـماحة والعدالة والمســـاواة وغيرها قيم ذبحتها المادية الخبيثة لتنتشـر مبادئها الهدامة كالشـيوعية والوجودية، مع أن الحياة بغير هذه القيم تتحول إلى جحيم لا يطاق، والإســـلام لا بهذه المبادئ كشـــعارات جوفاء، وإنما يدعو إلى تطبيقها على مسرح الحياة، حتى نراها على أولادنا، ونلمسها في بيوتنا، ونحس بها في أعمالنا.

وإليك هذا المثال الرائع لحرص الإسـلام على هذه القيم: فهذا رجل مسلم دخل في الإسـلام حديثًا، وقد كان ذلك أثناء ســـفره بتجارة كبيرة لقريش إلى بلاد الشـــام - وهو العاص بين الربيع زوج الســـيدة زينب بنت رســـول الله ﷺ - وعندما كان في طريق العودة على مقربة من المدينة، أشار عليه بعض المنافقين قائلا: ما دمت قد أسلمت فخذ هذا المال غنيمة لك، ولا ترجع إلى مكة، فقد استولوا على أموال إخوانك المسلمين - وهؤلاء يقول الله تعالى فيهم وفي أمثالهم في كل زمان ومكان ففى (١١٢الأنعام) :

﴿ شَيَاطِينَ الإنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾[

وما أكثرهم في زماننا يزينون للناس الشـر فيقول أحدهم: أنت رجل فقير ولا بأس أن تأخذ من مال الدولة لأنك محتاج، فإذا لم يتيسر لك ذلك فلا مانع من الرشوة - لكن انظر إلى هذا الرجل الذي ملأ اله قلبه بحقيقة الإيمان حيث قال: (لا ... لا أبدأ حياتي في الإســـلام بالخيانة). وذهب إلى مكة، وسلم التجارة والأموال لأهلها، ثم قال لهم:

(يا أهل مكة ماذا تعلمون عني؟ فقالوا: لا نعلم عنك إلاَّ كل خير. فقال: هل بقي لكم شئ في ذمتي؟ قالوا: لا، وجزاك الله خيراً. قال: فإني أشهدكم أنه لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله).

وقد كان المثل الأعلى في ذلك نبيكم الكريم ﷺ:

- فقد كان أهل مكة يحاربونه ويؤذونه، بل ويتفنون في إيذائه، ومع ذلك كانوا يسلمون له أماناتهم ليحفظها عنده.
- ولم يغره استيلاؤهم على أموال أصحابه، وعلى دورهم، وعلى تجاراتهم أن يأخذ شيئًا من هذه الأمانات حين هجرته لأنه كان حريصًا ﷺ أن يثبت دعائم الأمانة، وقواعد الوفاء في هذا الدين.
- ويشهد على ذلك أنه عرَّض حياة ابن عمه الإمام علي بن أبي طالب للخطر وللقتل حين أمره أن يبيت مكانه ليؤدي الأمانات إلى أهلها بعد هجرته، ليعلم العالم أجمع أن الإسلام دين القيم والمبادئ والمثل.

ثانيا: مكارم الأخلاق

وهي الغاية التي حددها ﷺ من أجل بعثته حيث يقول:

{ إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاَقِ } [٦٩]

فمكارم الأخلاق كالعفو عند المقدرة، والتجاوز عن المسيئ، والعفو، والصفح، والإحسان إلى من أساء وغيرها، هي الهدف الأسمى من العبادات الإسلاميه. فمثلاً: لماذا فرضت علينا الصلاة؟

يجيب على هذا السؤال قول الله ﷻ :

﴿ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ ﴾ [٤٥- العنكبوت]

فالهدف من الصلاة هنا، أن تبقي الملاحظة الإيمانية في وادي قلبك، فتراقب النوافذ التي يدخل منها الشيطان كالعين والأذن واللسان والفرج والبطن، ولا تسمح بالدخول منها إلا لمن أذن الله له بالدخول، أو أذن له حضرة الرسول ﷺ .

---

[٦٩] سنن الكبرى للبيهقي عن أبي هريرة

فإذا دخل عن طريق العين مثلاً شـئ يغضـب الله، دق جرس الإيمان في قلبك منبهًا لتتنبه إلى أن هناك شـئ غريب تسـلل إلى مملكتك، وهذا لو تركته ولم تقض عليه، ربما يفسـد عليك حالك، أو يُذهب صلاح قلبك، أو ربما يجعل حالك حال غوي، أو ضال شقي - والعياذ بالله. وربما مال بك إلى حال المنافقين، وكل هؤلاء تبغضـهم السماء، وتلعنهم الملائكة. أما أهل الإيمان فيقول في شأنهم الله ﷻفى [٢٠١- الأعراف]:.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾

وقد أجمل ذلك أكثم بن صيفي حيث قال:

{ لو لم يكن ما أتى به مُحَمَّدٌ ﷺ دينًا لكان في أخلاق الناس حسنًا }.

ثالثا: بناء المراقبة الإيمانية (الضمير)

أخي المؤمن مهما شرع المشرعون، ومهما قلد المقلدون، ومهما أصدر مجلس الشعب أو مجلس الشـورى، أو غيرهم من لوائح وقوانين، فلن تنصـلح أحوالنا إلا إذا ربينا الضـمير في نفوسـنا، وفي نفوس آبنائنا وبناتنا، فهو العلاج الوحيد، ولا علاج سـواه، ولن ينجينا من تخبطنا شـرقًا وغربا إلا الضـمير، ولن يصـلح أحوالنا إلا الضـمير، ولن يصـلح الضـمير إلا الدين الذي جاءنا به اللطيف الخبير سـبحانه. وإلاَّ فبالله عليك خبرني أي قانون في دنيا الناس يجعل المرء يعترف بذنبه على رؤوس الأشهاد؟.

فإننا نرى في زماننا من يرتكب الخطيئة، ويفعل الفاحشـة، ويعمل المنكر، وإذا وقع تحت طائلة العقوبة لجأ إلى التزوير وإلى الكذب، وأعانه شـهود الزور وما أكثرهم! وسـاعده تلفيق المحامين، وما أكثر تلفيقهم!، بل ربما لجأوا إلى رشـوة القضـاة ليأخذوا حقًا من مظلوم ويعطوه لظالم.

ونقص هنا قصـــــة رجل وإمرأة زنيا على عهد رســـول الله و كانا ثيبين، فذهب كل واحد منهما على حده لرسول الله ليطهره! ما الذى دفعهما لذلك؟ وهما لم يخرجا من جامعة! وليس معه أحدهما دكتوراه، ولم يتتعلما في مدارس أجنبية ولا فى طوكيو أو لندن أو واشنطن، ولكنهما تربيا على مائدة الإيمان، وكل ما اكتسباه من العلوم والمعارف إنما هو الإيمان القوي بالله ﷻ، واستمع إلى قصتهما وقد رويت بصور عديدة وفيها عبر لا حصر لها:

{ جاءَ ماعزُ بنُ مالكٍ إلى النبيِّ ﷺ وقالَ: يا رســـولَ الله طَهِّرْنِي، فقالَ: وَيْحَكَ ارْجِعْ فاسْتَغْفِرِ الله وَتُبْ إليهِ، قالَ: فَرَجَعَ غيرَ بعيدٍ، ثم جاءَ فقالَ: يا رسولَ الله طَهِّرْنِي، فقالَ النبيُّ ﷺ : وَيْحَكَ ارْجِعْ فَاسْـــتَغْفِرِ الله وَتُبْ إِلَيْهِ، قال: فَرَجَعَ غَيْرَ بَعِيدٍ، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: يَا رَسُـــولَ الله طَهِّرْنِي، فقال النَّبِيُّ ﷺ مثلَ ذلكَ، حَتَّى إذَا كانتِ الرابعةُ قالَ لهُ النبيُّ ﷺ : مِمَّ أُطَهِّرُكَ، فقالَ: من الزِّنَا، فَسَأَلَ النبيُّ ﷺ: أَبِهِ جنونٌ، فَأُخْبِرَ أنهُ ليسَ بمجنونٍ، فقالَ: أَشَـــرِبَ خمراً، فقامَ رجلٌ فاسْـتَنْكَهَهُ فَلَمْ يجِدْ منهُ ريحَ خمرٍ، فقالَ النبيُّ ﷺ: أَثَيِّبٌ أَنتَ، قالَ: نَعَمْ، فَأَمَرَ بِهِ فَرُجِمَ، فكانَ الناسُ فيهِ فَرِيقَيْنِ تقولُ فِرْقَةٌ: لَقَدْ هَلَكَ ماعزٌ على أسوإِ عَمَلِهِ لقدْ أَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ، وقائلٌ يقولُ: مَا تَوْبَةٌ أَفْضَلُ من توبةِ ماعِزٍ، أَنْ جَاءَ إلى رسولِ الله ﷺ فَوَضَعَ يَدَهُ في يَدِهِ فقالَ: اقْتُلْنِي بالحجارةِ، قالَ: فَلَبِثُوا بذلكَ يومينِ أو ثلاثةً، ثم جاءَ النبيُّ ﷺ وهم جلوسٌ فَسَـلَّمَ ثم قالَ: اسْـتَغْفِرُوا لمَاعزِ بنِ مَالِكٍ، قالَ: فقالُوا: يَغْفِرُ الله لِمَاعِزِ بنِ مَالِكٍ، قالَ: فقالَ النبيُّ ﷺ: لَقَدْ تَابَ تَوْبَةً لو قُسِـمَتْ بينَ أُمَّةٍ لَوَسِـعَتْهَا. (ثم يأتى دور المرأة التى عرفت بالغامدية فى القصة) قالَ: ثُمَّ جَاءَتْهُ امرأةٌ من غَامِدٍ من الأَزْدِ، قالتْ: يا رسولَ الله طَهِّرْنِي، قالَ: وَيْحَكِ ارْجِعِي فاسْتَغْفِرِي الله وتُوبِي إليهِ،

قالتْ: لَعَلَّكَ تريدُ أَنْ تُرَدِّدَنِي كَمَا رَدَّدْتَ ماعزَ بنَ مَالِكٍ، قالَ: ومَا ذَاكَ، قالتْ: إِنَّهَا حُبْلَى مِنَ الزِّنَا، فقالَ: أَثَيِّبٌ أَنْتِ، قالتْ: نَعَمْ، قالَ: إذاً لا نَرْجُمُكِ حَتَّى تَضَــعِي ما فِي بَطْنِكِ، قالَ: فَكَفِلَهَا رجلٌ من الأنصــار حَتَّى وَضَـعَتْ، فَأَتَى النبيَّ ﷺ فقالَ: قَدْ وَضَـعَتِ الغَامِدِيَّةُ ، فقالَ: إذاً لا نَرْجُمُهَا ونَدَعُ وَلَدَهَا صــغيراً ليسَ لَهُ مَنْ يُرْضِـعُهُ، فقامَ رجلٌ من الأنصــارِ فقالَ: إِلَيَّ رَضَــاعُهُ يَا نَبِيَّ الله، فَرَجَمَهَا.} [70] وفى رواية { إِمَّا لاَ فَاذْهَبِي حَتَّى تَلِدِي، فَلَمَّا وَلَدَتْ أَتَتْهُ بِالصَّبِيِّ فِي خُرْقَةٍ قَالَتْ: هَذَا قَدْ وَلَدْتُهُ، قَالَ: اذْهَبِي فَأَرْضِـعِيهِ حَتَّى تَفْطِمِيهِ، فَلَمَّا فَطَمَتْهُ أَتَتْهُ بِالصَّـبِيِّ فِي يَدِهِ كَسْـرَةُ خُبْزٍ فَقَالَتْ: هَذَا يَا نَبِيَّ اللَّهِ قَدْ فَطَمْتُهُ وَقَدْ أَكَلَ الطَّعَامَ } [71]

كما ورد فيها أيضاً {: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا أَمَرَ النَّاسَ أَنْ يَرْجُمُوا الْغَامِدِيَّةَ ، أَقْبَلَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ ﷺ فَرَمى رَأْسَهَا فَتَنَضَّحَ الدَّمُ عَلى خَالِدٍ فَسَبَّهَا، فَسَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ سَبَّهُ إِيَّاهَا، فَقَالَ: مَهْلاً يَا خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ! لاَ تَسُــبُّهَا، فَوَالَّذِي نَفْسِــي بِيَدِهِ! لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً، لَوْ تَابَهَا صَــاحِبُ مَكْسٍ لَغُفِرَ لَهُ، فَأَمَرَ بها، فَصَلَّى عَلَيْهَا ـ وَفِي لَفْظٍ: لَوْ تَابَهَا صَاحِبُ مَكْسٍ، أَوْ سَبْعُونَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَقُبِلَتْ مِنْهُمْ } [72]

وروى أيضــاً : ما كانت الصــحابة تتناقله ، فقيل: { كُنَّا أَصْـحَابَ رَسُـولِ اللَّهِ ﷺ نَتَحَدَّثُ أَنَّ الْغَامِدِيَّةَ وَمَاعِزَ بْنَ مَالِكٍ لَوْ رَجَعَا بَعْد اعْتِرَافِهِمَا أَوْ لَوْ لَمْ يَرْجِعَا بَعْدَ اعْتِرَافِهِمَا لَمْ يَطْلُبْهُمَا (رسـول الله ﷺ) وَإِنَّمَا رَجَمَهَا بَعْدَ الرَّابِعَةِ } [73] وذلك لأنه يقول لرسـول الله طهرنى والنبى يأمره أن يرجع ويستغفر! ولا يسأله ﷺ مم يطهره؟ حتى قالها للمرة الرابعة!

---

٧٠ رواه مسلم في الصحيح عن أبي كُرَيْبٍ عن يحيى بنِ يَعْلَى
٧١ رواه أحمد ومسلم وأبوداود عن بريدة
٧٢ عن بُريدةَ بن الْحُصيب (ابن جرير).، جامع المسانيد والمراسيل
٧٣ رواه أبو داود. وعن بريدة، نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار

فعمل من هذا؟ هذا عمل هيئة الرقابة الداخلية التى دفعت الرجل والمرأة إلى طلب التطهير من الله ! مع أن رسـول الله ﷺ فتح الباب للإسـتغفار ! وفتح باب الأعذار ! دفعاوأراد ﷺ، أن يلتمس لها المعاذير، والنيابة المحمدية دائما في جانب المتهم تلتمس له مخرجًا، وتحاول أن تجد له عذرًا، لأنها لا تريد أن تعذِّب أحدًا، أو تحكم على أحد بغير حق، لقوله ﷺ :{ ادْرَءُوا الحُدُودَ بِالشُّبُهَاتِ } ، ولما ورد فى المهذب { لأن يخطئ الإمام في العفو، خير من أن يخطئ في العقوبة }أي لأن يخطئ فيحكم بالبراءة على مجرم، خير من أن يحكم بالعقوبة على برئ، فيكون إثماً كبير يوم لقاء العلي الكبير.

من الذي يبني هذه المراقبة الإيمانية في قلب ابني؟!! لا المدرسة، ولا الدروس الخصوصية التعليمية!! وإنما الدروس الخصـــوصـــية الإيمانية التي نتعلمها من الجامعة القرآنية، ومن قناة التليفزيون الإيمانية؛ فهي التي تبني عند الأولاد مراقبة الله، وتجعلهم يراقبون الله ﷻ في الســـرِّ والعلانية، والجهر والخفاء، وهؤلاء حتى ولو كانوا فقراء فلا تخشى عليهم لقول الله ﷻ :

﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيدًا ﴾ [٩- النساء].

أما الذي كافحت معه حتى تخرج من الجامعة وأصبح في منصب كبير، ولم يحصل على شـــهادة مراقبة الرقيب ﷻ، فإنه يتعرض للأهواء، وقد يســـير في طريق الفحشـــاء، أو تحتوشـــه شـــياطين الإنس، فيكون مصـــيره جهنم، وهناك يتعلق بك، ويكون الأمر كما قال ﷺ فيما رواه الطبراني:

{ إذا كان يوم القيامة يتعلق بالرجل أهله وذويه ويقولون: يا ربنا خذ لنا بحقنا من هذا، فيقول الله ﷻ : وما ذاك؟ فيقولون كان يطعمنا من الحرام، ولم يعلمنا أحكام الإسلام }

فلو درَّبت أولادك يا أخي على مراقبة الله، وعلمتهم قيم الإيمان، ونزعت بعنايتك، وأخرجت بحسن تربيتك، واقتلعت بحسن طريقتك في توجيههم ما في صدورهم من غلِّ وحقد لبعضهم أو لجيرانهم، أو لأقاربهم وأحبابهم، فأطمأن كل الاطمئنان أنهم سيعاملون بقرار الحنان المنان:

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً - في الدنيا - وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ - في الآخرة ﴾ [٩٧- النحل]

وتدخل أنت في قوله ﷺ فيما رواه الإمام مسلم عن أبى هريرة ﷺ:

{ إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاَثٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ }

فإذا ربيتهم على تعاليم الرحمن، وأجلستهم على مائدة القرآن، وحببتهم في الصفات والخصال التي أثنى على أهلها القرآن، وبغَّضت إليهم الأخلاق والأفعال التي حذَّر منها القرآن، ونفَّر منها النبي العدنان، فسيأتون في ميزان حسناتك يوم لقاء حضرة الديان فيكون عملهم شافع لك، ويكون لك مثل أجرهم جميعًا، لأنك السبب في هذه الأعمال، والأصل في غرس هذه الخصال والفعال، فقد كان منك هذه العناية، وبك نالوا تلك الرعاية، والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

رابعا: جهاد النفس

لن يستطيع شبابنا مقاومة التيارات الإلحادية المعاصرة، أو مواجهة أتون الشهوات المستعرة، أو الوقوف أمام تيارات المادة الجارفة، إلا بجهاد النفس على وفق الشريعة المطهرة، وغرس مُثلها وقيمها في قلوبهم، لتكون هي الحصن الذي يتحطم عليه كل التيارات الوافدة. فإن الانتصار في ميدان القتال في زمننا صار سهلاً لأنه يتم بواسطة المدافع والدبابات والطائرات وغيرها من وسائل الدمار، لكن التغلب على نزعات النفس وحظوظها وأهوائها ورغباتها هو الذي يحتاج إلى الجهاد الأعظم جهاد النفس.

فنحن لا نحتاج لإصلاح أحوال مجتمعنا لتغيير اللوائح والقوانين، بقدر حاجتنا الماسة إلى تغيير ما بالنفوس لقول الله ﷻ فى [١١- الرعد].:

﴿ إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾

فالذي بالنفس ويجعلها ترضخ للمغريات، وتُقبل على الشهوات، وتنسلخ من مبادئها، هو الطمع والشح، والحرص والشَّره، والغفلة والحقد، والحسد والغل، وغيرها من الصفات الذميمة ولا تتغير النفس من نفس أمّارة أو خبيثة إلى نفس لوامة أو مطمئنة إلا بالتخلي عن هذه الصفات، واقتلاع هذه الآفات مصداقًا لقول الله ﷻ فى [٤٧- الحجر]. :

﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾

فكل صفات النفس التي تحجبها عن الأنوار، وتُقعدها عن متابعة النبي المختار، وتجعلها تخلد إلى دار البوار، يجب على شبابنا التنبه إلى أخطارها، والعمل على اقتلاعها من جذورها، فالنفس كما قال الإمام أبو العزائم فيها:هي النفس للداني تحنُ وترغب وللعاجل الفاني تميل وتطلب

هذه النفس كيف نعالجها؟ وكيف نقضي على شرورها ونزغاتها؟ أباللوائح والقوانين؟ أم بالدبابات والمدافع؟

لا هذا ولا ذاك. أنستطيع أن نُقَوِّمَهَا بالعلم الحديث؟ كلاًّ!

فإن أوربا جعلت العلم المادي إلهاً يعبدونه من دون الله، ويدَّعون أنه يهيمن على كل شــئ، فإذا ســـألناهم: ما رأي العلم الحديث في تعاطي الخمر؟قالوا: يحرمها ويجرمها - لأســـباب كثيرة يضيق حيّز هذه الصفحات عن ذكرها - فلماذا تشربونها رغم كشف العلم عن مضارها؟!

وهذا أيضًـــا رأي العلم في الزنا وغيرها من منكرات الطباع والأخلاق، ولكن العلم وحده ليس عنده القوة التي تدفعني إلى هذه المجاهدات وتلك المكابدات، .... لكن الذي يدفعني لها نور القرآن، وهدي النبي العدنان، وصلابة الإيمان.

نور القرآن

معلومٌ أن سيدنا عثمان وقيل أيضاً عمر بن الخطاب ﷺ قالا:

{ إن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن }

أى أن الخوف من السلطان له أثر عظيم فى نفوس بنى الإنسان! فهذا فعَّالٌ لردع أهل الفجور وإشاعة الفاحشة والمجاهرين بها علناً! ولكن هذا الردع يحدث عندما يكون الجرم واضحا وبيّناً للعنان! إما إذا خفى عن العيون، وأصبح بين الإنسان وبين مولاه! أو صارت الأمور كما هى اليوم حتى يقدر الشاب أو الفتاة أن يغلق عليه بابه وبجهاز صغير معه يشاهد ويتكلم ويرى ما لم تكون جيوش كاملة تستطيع أن تأتى به لذى قوة أو سلطان أو جاه ... فمن الذى يستطيع إذاً أن يمسك بزمام إبنى أو إبنتى! ؟؟؟ من الذى يحمى أبنائنا من هذه الأمواج المتلاطمة والرياح العاتية؟

إنه وفقط! نور القرآن! فهو الذي يستطيع أن يمنعني من العصيان، لكن أمر السلطان أستطيع أن أفر منه أو أتنصل، بل أستطيع أن أضيع كل ملابسات الجريمة، حتى ولو كان هناك شاهد ملموس عليّ كالبصمة على الإصبع، فالبعض يبتر إصبعه حتى تذهب آثار جريمته، لكن من الذي يستطيع أن يمحو آثار جريمته ممن يقول للشئ كن فيكون؟ إنه ﷻ يقول

﴿ وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ [١٠٥- التوبة].

فالمؤمن الذي يشعر بداخله أن الله ﷻ يراه، يرى حركاته وسكناته، ويطلع على خواطره وعلى توجهاته وعلى نياته، كيف يعصاه؟.

إنه لا يستطيع عصيانه ﷻ حتى ولو كان في خلاء من الناس، لأنه تيقن بقلبه أن الله ﷻ لا يخلو منه زمان ولا مكان، وإن كانت عيون الحس لقصورها وضعفها لا تراه، لكن عيون القلب تشهد صفات الله وجمالات الله وكمالات الله ظاهرة في كل مظهر في هذه الحياة.

وإذا نظرت عيني إلى أي كائن   تغيب المباني والمعاني سواطع

إذاً ما الذي يسـوق الناس إلى البرّ وفعل الخيرات، ويجعلهم يتمسـكون بالفضـائل كالهدى والعفاف، ويبتعدون عن الرذائل والمنكرات؟ جهاد النفس على نهج شـريعة الله، وليس هذا الكلام الذي نقوله نظريًا، ولكن هناك التجربة العملية الناجحة التى خاضـها محمد رسـول الله ﷺ والذين معه. وكلنا نعلم ما كان عليه القوم من أخلاق جاهلية، ونزعات إبليسية، فقد كان بينهم من هو أشد من الشياطين فسادا وضلالا، ولذلك قدَّم الله ﷻ ذكرهم في الآية لخطورتهم على شياطين الجن، وذلك في قوله سبحانه: ﴿ شَيَاطِينَ الإنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ [١١٢- الأنعام].

وكان بعضهم في أفعاله وأحواله أضل من الأنعام ولذلك يقول الله ﷻ في شأنهم: ﴿ أُوْلَـئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴾ [١٧٩- الأعراف].

فلم يكن عندهم معاني ولا فضائل تليق بتكريم الله للإنسان، أو تناسب الكمال الذي أعد الله له الإنسان، لكن ماذا الذى حدث؟ ... كل هذا تغير في طرفة عين على يد رسول الله ﷺ، فقد أصـبحوا بعد السـفاهة حلماء وبعد الجهالة علماء، وبعد الضـلالة هداة حتى قال فيهم ﷺ : (علماء حكماء فقهاء، كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء).

لقد طهرهم ﷺ، من صـفات الجاهلية، وخلَّقهم بعد جهاد أنفسـهم بالصـفات الربانية من الرحمة والشـفقة والعطف والبذل والإيثار والعفو والصـفح وغيرها وكذلك الأخلاق القرآنية من التواضـع والخشـوع والإخبات والابتهال والتبتل وغيرها فلما نصـروا الله بإقامة شـريعته، وحفظ كتابه، والعمل بأحكام دينه، والحرص على وصـاياه وتوجيهاته، نصـرهم الله ﷻ على أعدائهم تنفيذاً لقوله ﷻ فى(٧محمد): ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ .

ميادين جهاد المؤمنين

إن الذي أضاع حال معظم الناس في هذا العصر، اعتقادهم أن ميدان الجهاد في الحصول على الأموال فقط لأن بها تتيسر لهم وسائل الحصول على الشهوات، ونيل جميع الرغبات ولذلك سولت لهم أنفسهم أن كل طريق للحصول على المال فهو مباح ولو كان الغش أو الخداع، أو السلب أو النهب، أو النصب والاحتيال أو الكذب، فالمهم أن يحصل على المال بأي وسيلة وبأي كيفية ويبررون ذلك بقولتهم المغلوطة: الغاية تبرر الوسيلة.

لكن المؤمن يجاهد لتحصيل المال من طريق حلال، فإذا انتهى من سعيه على معاشه عمل بقول الله ﷻ لحبيبه ومصطفاه ﷺ: ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴾ [٧و٨- الإنشراح]، فتجده يجاهد في ميدان من الميادين التي أشار إليها القرآن، فبعضهم يجاهد ليكون مع القوم الذين يقول الله ﷻ فيهم:

﴿ رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ ﴾ [٣٧- النور].

وبعضهم يرغب في الدخول في مقام: ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ [٥٤- المائدة] ويكتب في ديوان المحبين، فجهاده في التخلق بقول الله ﷻ: ﴿ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ ﴾ [٥٤- المائدة]

ومنهم من يودّ أن يكون: ﴿ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَـئِكَ رَفِيقًا ﴾ [٦٩- النساء].

ونحن نطلب هذا المقام في كل ركعة من ركعات الصلاة حيث نقول: ﴿ اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ ﴾ [٧،٨- الفاتحة]. والصراط المستقيم لا يكون بالصلاة فقط، ولكن بالجهاد في التحقق بقول الله ﷻ: ﴿ وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ ﴾ [٦٩- النساء].

فإذا كنت أطيع الله ﷻ في القيام بالصلاة وأخالفه بالكذب على عباد الله، أو الخيانة للمؤمنين بالله فهذه طاعة مردودة لأن الدين لا بد أن يؤخذ جملة واحدة فالطاعة كما أقوم بها في العبادات لابد أن أقوم بها في المعاملات، ولا بد أن أتصــــف بها في الأخلاق، بل قد وصـــل الأمر ببعض الصــالحين إلى التأسـي برسـول الله ﷺ حتى في العادات، كالنوم والأكل والشـرب وما شـابه ذلك، وذلك لرغبتهم الشديدة في أن يكونوا في معيته ﷺ .

إذن فالمؤمن يجاهد في ميدان من ميادين الجهاد التي وضـحها القرآن، أو بيَّنتها سـنة النبي العدنان، ويطلب بذلك الأنس بالله، أو التلذذ بذكر الله، أو التمتع بمناجاة الله بكلام الله، أو الدخول في معية سيدنا رسول الله، أو الحصول على الدرجات العالية في الجنة، أو ضمان الأمان في الدار الآخرة من عذاب الله والدخول في المقام الكريم الذي يقول فيه الله ﷻ : ﴿ أُوْلَــــــئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [٨٢- الأنعام].

ومن يفعل ذلك فهو الإنسـان الذي تحقق بخلافة الله، واسـتحق تكريم الله في قوله جل شـأنه: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّـــلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِــيلاً ﴾ [٧٠- الإسـراء]، وقد نَبَّه إلى بعض هذه المعاني الإمام عليٌّ ﷺ وكرَّم الله وجهه حيث يقول:

أتزعم أنك جرم صغير　　وفيك انطوى العالم الأكبر
دواؤك فيك وما تبصر　　وداؤك منك ولا تشـعر

وأشار إلى ذلك الإمام أبو العزائم ﷺ في قوله:

يا صورة الرحمن والنور العلي　　يا سدرة الأوصاف والغيب الجلي
فيك المعاني كلها طويت فهل　　أدركت سِرًّا فيك من معنى الولي؟

فنحن نريد إصلاح النفوس أولا قبل إصلاح القوانين واللوائح، وإقامة النفوس الفاضلة قبل إقامة المباني والمنشآت، فإصلاح النفس هو الذي عليه المعوّل الأول في الإصلاح، فلو أن فردًا واحدا فقط استطاع إصلاح نفسه، لفتح الله ﷻ به دولاً كاملة، لأن الله ﷻ يهيئ له الأسباب، ويفتح له القلوب، ويجري الخير على يديه، ويسوق البر في ركابه تحقيقًا لقوله سبحانه:

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴾ [٥٥- النور].

وفي هذا العصر الذي نحن فيه لن ينصلح حال مجتمعنا إلا إذا انتشر العلماء العاملون، والحكماء الربانيون، والأئمة المخلصون، يهذبون النفس بعلمهم وحالهم، ويخلعون منها الحقد والحسد والغل والبغض، ويملئونها بالحب والشوق والوجد والإيثار وينشرون أخلاق الأنبياء وصفات الأولياء.

فإذا امتلأت القلوب بهذه المعاني فستتقلص الجريمة في المجتمع، وتنزوي الأخلاق السيئة، وتتوارى الرذائل، وسنجد في قلوب شبابنا وبناتنا سدًا إيمانيًا منيعًا يصد التيارات الإلحادية والمادية الجارفة التي يسلطها علينا شياطين أوربا وغواة أمريكا،، هذا السد الإيماني يجعل أهله من الفتية الذين يقول فيهم الله: ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾ [١٣- الكهف].

فلو ألقي في وسط جهنم المعاصي في لندن أو باريس أو غيرها، أو مهما يعلم أنه موجود على النت فى غرفته أو بالموبايل وهو سائر فى طريقه ولا ينقصه إلا ضغطة زر كما يقال! مهما يكن من ذلك! فلن يستطيع أي إغراء أو إغواء أن يؤثر فيه أو يفتنه أو يحيد به عن سبيل الرشد، لأن السدَّ الإيماني بداخله يحفظه من ذلك، من أين بُني هذا السد؟ من كلام الله، ومن سنة رسول الله، والعمل بهما بإخلاص طلبًا لمرضاة الله ﷻ .

فهو بالنهاية حتى لو تبرجت له الدنيا، وتزينت له المعاصي ! ولسان حالها يناديه ويقول له : هيت لك!! يجيبها لسان حاله فى الحال قائلاً : ﴿ قَالَ مَعَاذَ اللهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ [٢٣- يوسف].

من الذي يصـــنع هذا الســـد ويبنيه في قلوب بنينا وبناتنا؟ إنهم العلماء العاملون والدعاء المخلصون الذين يقول فيهم الله جل شأنه:

﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [٢٤ السجدة]، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

أما الذي ليس عنده هذا السد الإيماني فتجده يبحث عن المعاصي ليرتكبها، ويلح في طلب الدواعي التي تهيئ له الظروف والأحوال! أعاذنا الله وأبنائنا وبناتنا من هذا الحال، وأخذ بأيديهم جميعاً إلى خير حال وما ذلك على الله بمحال،

خاتمــــة

بقى لنا بابٌ كنا نود أن نضـــعه في هذا الكتاب حتى يكمل في بابه، وهو نَظْرَةٌ في المناهج التعليمية الحديثة لإضــافة اللمســات الإيمانية عليها، خاصــة وأن ديننا لا يعارض العلم بل يحضُّ عليه ويرغب فيه.

ومن إعجاز هذا الدين أن كل ما يســتجد من نظريات علمية يقينيَّة تجدها مســطرة في صــفحات كتابه المكنون، أو مذكورة بدقة بالغة في ســنَّة النَّبيِّ الكريم، أما الفروض والتخمينات التي مازالت في مرحلة الظنِّ أو التجربة ولم تتأكد مصــداقيتها فلا حاجة لنا بها الآن. لكننا وجدنا أن هذا الموضـــوع يحتاج إلى كتيب خاص- أعاننا الله على إنجازه - لكثرة تشـــعب العلوم في عصرنا.

فنحن نحتاج إلى مراجعة المواد الدراسـية التي تُدَرَّسُ في الأزهر الشـريف لحذف الحشـو منها، وصياغتها بأسلوب عصري.

ونحتـاج لمراجعـة جميع العلوم التى تـدرس بـالمـدارس من العلوم الإنســـانيـة والأدبيـة، والإجتماعية والعلمية - حتى التاريخية - لوضـعها على منهج اسـتقرائي علمي، وإخراج ما اندسَّ فيها بسبب الأهواء والأغراض، والصراعات والعصبيات، والتنافس بين الأمم والشعوب، أو بين الأحزاب السياسية والفرق الدينية.

ثم نحن بحاجة بعد ذلك إلى إضـــافة اللمســـات الإيمانية بربط الآيات القرآنية والأحاديث النبوية بالمناهج العصـــرية بطريقة تربوية، مع التركيز على القيم والأخلاق، والمثل والمبادىء، التي تتماشـــى مع الشــريعة الإســلامية، وإزاحة الآراء العلمية التي ثبت زيفها، وما زالت تدرس عندنا على أنها نظرية ثابتة، ليس هناك من العلم ما يدحضـــها كنظرية دارون - مع أنها لا تُدَرَّسُ في أوروبا إلاَّ على أنها كانت نظرية علمية في حقبة الزمن ثم ثبت خطأها!!

كذلك إزالة ما علق بأبطالنا وزعمائنا من أباطيل اندســت في كُتبنا أثناء وجود الإســتعمار ببلدنا أو بعد ذلك.

ونحن فى حاجة شـــديدة لتقوية قيم العمل والأخذ بأســـباب الرقى والحضـــارة بكل إخلاص وإجتهاد فى مناهجنا، ولتثبيت دعائم الحق والخير والحض عليه بالإسلوب العلمى الراقى المناسب لعصـرنا، مع تحديث الخطاب الدينى الموجَّه لأبنائنا وبناتنا وتسـليحه بكل أدوات الخطاب الحديثة العلميَّة والسيكولوجيَّة والتربويَّة والتكنولوجية المتاحة لذلك ....

هذا إلى جانب كثير من الآراء والمقترحات التي تتعلق بهذا الموضوع.

نســـأل الله ﷻ أن يحي الغِيرة على هذا الدين في قلوب شـــبابنا وبناتنا، حتى يقوموا بهديه مسـتمسـكين، ويكونوا بشـريعته عاملين، وله ﷻ في عملهم قاصـدين، فنحن أمة الإسـلام كما قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه:

{ نحن قوم أعزنا الله بالإسلام فإن ابتغينا الهدى في غيره أذلنا الله ﷻ }.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

تمَّ بحمد الله تعالى

المراجـــــــع

١- القرآن الكريم.

٢- كتب السنة.

٣- أسرار القرآن: الإمام أبوالعزائم ، دار المدينة المنورة - القاهرة

٤- المحاسن: البيهقي ، ٥- المقدمة: ابن خلدون، دار الشعب – القاهرة

٦- العقد الفريد: ابن عبد ربه .

٧- إحياء علوم الدين: الإمام الغزالي، دار الشعب – القاهرة

٨- الفضائل الخلقية في الإسلام: دأحمد عبدالرحمن إبراهيم، دار الوفاء، المنصورة،٨٨

٩- العاطفة الجنسية في ضوء الدين والعلم، أحمد عبد اللطيف بدر، دار التأليف،القاهرة

١٠- الختان: الشيخ جاد الحق علي جاد الحق، كتاب الأزهر ١٩٩٥م

١١- علاقة الآباء بالأبناء في الشريعة الإسلامية: د.سعاد إبراهيم صالح كتاب التعاون ١٩٩٥م.

١٢- تربيتنا الروحية: سعيد حوى.

١٣- الإسلام والشباب: عبد التواب رضوان، رسالة الإمام ١٩٨٧م.

١٤- الإسلام والعقل: د. عبد الحليم محمود، دار المعارف ١٩٨٨م.

١٥- التربية الجنسية فى الإسلام: دعبد الرحمن طالب الجزائرى الدار المصرية ١٩٩٢م.

١٦- تربية الأولاد فى الإسلام: عبد الله ناصح علوان، دار السلام – القاهرة ١٩٩٢م.

١٧- صورة البيت المسلم: عصام بن محمد الشريف..دار الصفوة ١٩٩٣م.

١٨- تربية الأولاد فى الإسلام: عطية صقر الدار المصرية للكتاب- القاهرة ١٩٩٠م.،

١٩- المنهج السليم إلى طريق الله المستقيم: عطية صقر،مجمع البحوث الإسلامية ١٩٩٢م، ٢٠- النفس أمراضها وعلاجها: محمد الفقى صبيح - القاهرة ١٩٧٠م.

٢١- منهج القرآن فى التربية: محمد شديد دار التوزيع والنشر الإسلامية ١٩٧٩م.

٢٢- توجيهات فى بناء الأسرة: الشيخ محمد على سلامة.دار الإيمان والحياة ١٩٩١م.
٢٣- حقوق الإنسان فى الإسلام الشيخ محمد على سلامة دار الإيمان والحياة ١٩٩٢م.
٢٤- خواطر إيمانية حول تنظيم الأسرة والمشكلة السكانية: الشيخ محمد على سلامة
٢٥- منهج التربية الإسلامية (جزءان): محمد قطب .دار الشروقالقاهرة ١٩٩٢م.
٢٦- الإسلام ورعايته للطفولة منصور الرفاعى عبيد الهيئة المصرية للكتاب ١٩٩١م.
٢٧- الإسلام ومنهجه فى تربية الأبناء: منصور الرفاعى عبيد الهيئة المصرية للكتاب ١٩٩١م.
==

رموز إختصار أسماء كتب تخريج الحديث
كما ورد بالجامع الصغير نقلاً عن كنز العمال

(خ) للبخاري، (م) لمسلم، (ق) لهما، (د) لأبي داود، (ت) للترمذي، (ن) للنسائي، (ه) لابن ماجة، (٤) لهؤلاء الأربعة، (٣) لهم إلا ابن ماجه، (حم) لأحمد في مسنده، (عم) لابنه في زوائده، (ك) للحاكم في مستدركه وإلا فمبين، (خد) للبخاري في الأدب، (تخ) له في التاريخ، (حب) لابن حبان في صحيحه، (طب) للطبراني في الكبير، (طس) له في الأوسط، (طص) له في الصغير، (ص) لسعيد ابن منصور في سننه، (ش) لابن أبي شيبة، (عب)لعبد الرزاق في الجامع، (ع) لأبي يعلى في مسنده، (قط) للدارقطني في السنن وإلا فمبين، (فر)للديلمي في مسند الفردوس، (حل) لأبي نعيم في الحلية، (هب) للبيهقي في شعب الإيمان، (هق) له في السنن، (عد) لابن عدي في الكامل، (عق)للعقيلي في الضعفاء، (خط)للخطيب في التاريخ وإلا فمبين.(إنتهى).

ترجمة المؤلف الشيخ فوزى محمد أبوزيد



۞ نبذة: ولد الشيخ فوزى محمد أبوزيد فى الثامن عشر من أكتوبر١٩٤٨م ،الموافق ١٥ من ذى الحجة ١٣٦٧هـ بالجميزة، مركز السنطة، غربية، ج م ع، وحصل على ليسانس كلية دار العلوم من جامعة القاهرة ١٩٧٠م، ثم عمل بالتربية والتعليم حتى وصل إلى منصب مدير عام بمديرية طنطا التعليمية، وتقاعد سنة ٢٠٠٩م.

۞ النشاط: يعمل رئيسا للجمعية العامة للدعوة إلى الله بجمهورية مصر العربية، والمشهرة برقم ٢٢٤ ومقرها الرئيسى ١١٤ شارع ١٠٥ حدائق المعادى بالقاهرة، ولها فروع فى جميع أنحاء الجمهورية.، كما يتجول بمصر والدول العربية والإسلامية لنشر الدعوة الإسلامية، وإحياء المُثل والأخلاق الإيمانية؛ بالحكمة والموعظة الحسنة. هذا بالإضافة إلى الكتابات الهادفة إلى إعادة مجد الإسلام، وله الكثير من التسجيلات الصوتية والوسائط المتعددة للمحاضرات والدروس واللقاءات على الشرائط والأقراص المدمجة.

وأيضا من خلال موقعه على شبكة المعلومات الدولية الإنترنت WWW.Fawzyabuzeid.com وهو أصبح أحد أكبر المواقع الإسلامية فى بابه وجارى إضافة تراث الشيخ العلمى الكامل على مدى خمسة وثلاثين عام مضت، وجاري إضافة الإنجليزية.

۞ دعوته: ١- يدعو إلى نبذ التعصب والخلافات، والعمل على جمع الصف الإسلامى، وإحياء روح الإخوة الإسلامية، والتخلص من الأحقاد والأحساد والأثرة والأنانية وغيرها من أمراض النفس، ٢- يحرص على تربية أحبابه بالتربية الروحية الصافية بعد تهذيب نفوسهم وتصفية قلوبهم.، ٣- يعمل على تنقية التصوف مما شابه من مظاهر بعيدة عن روح الدين، وإحياء التصوف السلوكى المبنى على القرآن الكريم وعمل الرسول ﷺ وأصحابه الكرام.

۞ هدفه : إعادة المجد الإسلامى ببعث الروح الإيمانية، ونشر الأخلاق الإسلامية، وكذلك بترسيخ المبادئ القرآنية.

قائمة مؤلفات الشيخ

عدد سبعون كتاباً فى ست سلاسل:

أولا : سلسلة من أعلام الصوفية : عدد ٥ كتب:

١- الإمام أبو العزائم المجدد الصوفى(٢ط) ٢- الشيخ محمد على سلامه سيرة وسريرة.، ٣- المربى الربانى السيد أحمد البدوى ٤- شيخ الإسلام السيد إبراهيم الدسوقى ٥- الشيخ الكامل السيد أبو الحسن الشاذلى

ثانيا : سلسلة الدين والحياة :عدد ١٥ كتاب:

٦و٧- نفحات من نور القرآن ج١و٢. ٨- مائدة المسلم بين الدين و العلم. ٩- نور الجواب على أسئلة الشباب. ١٠- فتاوى جامعة للشباب. ١١- مفاتح الفرج (٧ط) (ترجم للأندونسية).١٢- تربية القرآن لجيل الإيمان (٢ط) (ترجم للإنجليزية والأندونسية). ١٣- إصلاح الأفراد و المجتمعات فى الإسلام.١٤- كيف يحبُّك الله (يترجم للأندونيسية).١٥-كونوا قرآنا يمشى بين الناس (يترجم للأندونيسية).١٦- المؤمنات القانتات ١٧- فتاوى جامعة للنساء. ١٨- قضايا الشباب المعاصر.١٩- زاد الحاج و المعتمر (٢ط)، (٦٧) بنو إسرائيل ووعد الآخرة.

ثالثاً: سلسلة الخطب الإلهامية: عدد ٧ كتب:

مج١: المناسبات الدينية :٢ط طبعة مجزأة و طبعة مجلدواحد:

٢٠- ج١: المولد النبوى. ٢١- ج٢: الإسراء و المعراج. ٢٢- ج٣ : شهر شعبان و ليلة الغفران، ٢٣-ج٤: شهر رمضان و عيد الفطر. ٢٤- ج٥ : الحج و عيد الأضحى المبارك. ٢٥- ج٦ : الهجرة و يوم عاشوراء. ٢٦- الخطب الإلهامية :مج١:المناسبات الدينية ط٢،مجلد.

ثالثا :سلسلة الحقيقة المحمدية: عدد ٨ كتب:

٢٧- حديث الحقائق عن قدر سيد الخلائق (٣ط). ٢٨- الرحمة المهداة. ٢٩-٣٠ إشراقات الإسراء:ج١(٢ط)، ج٢. ٣١- الكمالات المحمدية ٣٢- واجب المسلمين المعاصرين نحو الرسول (ترجم للإنجليزية). ٣٣-السراج المنير.، (٧٠) ثانى اثنين.

رابعا : سلسلة الطريق إلى الله: عدد١٢ كتاب:

٣٤- أذكار الأبرار. ٣٥- المجاهدة للصفاء و المشاهدة ٣٦- علامات التوفيق لأهل التحقيق. ٣٧- رسالة الصالحين.٣٨- مراقى الصالحين. ٣٩- طريق المحبوبين و أذواقهم.٤٠- كيف تكون داعياً على بصيرة. ٤١- نيل التهانى بالورد القرآنى.٤٢- تحفة المحبين ومنحة المسترشدين فيما يطلب فى يوم عاشوراء للقاوقجى (تحقيق).، ٤٣- طريق الصديقين إلى رضوان رب العالمين(ترجم للأندونسية). ٤٤- نوافل المقربين.(٦٤)أحسن القول.

خامسا: سلسلة دراسات صوفية معاصرة: عدد ١٤ كتاب:

٤٥- الصوفية و الحياة المعاصرة. ٤٦- الصفاء والأصفياء.٤٧- أبواب القرب و منازل التقريب.، ٤٨- الصوفية فى القرآن والسنة (٢ط) (ترجم للإنجليزية). ٤٩- المنهج الصوفى والحياة العصرية. ٥٠- الولاية والأولياء. ٥١- موازين الصادقين. ٥٢- الفتح العرفانى.٥٣- النفس وصفها وتزكيتها.٥٤- سياحة العارفين.٥٥-منهاج الواصلين.(٦٥) نسمات القرب. (٦٨) العطايا الصمدانية للأصفياء.(٦٩) الأجوبة الربانية فى الأسئلة الصوفية.

سادساً: سلسلة شفاء الصدور: عدد ٩ كتب:

٥٥- مختصر مفاتح الفرج (٤ط). ٥٦- أذكار الأبرار (٣ط).٥٧- أوراد الأخيار (تخريج وشرح).(٢ط)، ٥٨- علاج الرزاق لعلل الأرزاق (٢ط).٥٩- بشائر المؤمن عند الموت (٣ط) ٦٠ - أسرار العبد الصالح وموسى عليه السلام(٢ط)، ٦١- مختصر زاد الحاج والمعتمر. (٦٣) بشريات المؤمن فى الآخرة. (٦٦) بشائر الفضل الإلهى.

سابعاً: تحت الطبع للمؤلف :

١- الصوم شريعة وحقيقة، طريق الصديقين إلى رضوان ربِّ العالمين (ط٢)، حقائق التصوُّف النقيّ..

أين تجد مؤلفات فضيلة الشيخ فوزى محمد أبوزيد

إسم المكتبة	رقم الهاتف	القاهـــرة
المجلد العربي	٢٥٩١٢٥٢٤	١١٦ ش جوهر القائد الأزهر
الجندي	٢٥٩٠١٥١٨	سوق أم الغلام ميدان الحسين
دار المقطم	٢٧٩٥٨٢١٥	٥٢ ش الشيخ ريحان،عابدين
جوامع الكلم	٢٥٨٩٨٠٢٩	١٧ الشـــيخ صـــالح الجعفرى
التوفيقية	٢٥٩٠٤١٧٥	١ عمارة الأوقاف بالحسين
بــازار أنــوار	٠١٢٧٤٧٥٩٣	٢ زقاق السـويلم خلف مسـجد
العزيزية	٢٥٩١٥٢٢٤	١١ ميـدان حســـن العـدوى
الفنون الجميلة	٢٥٩٠٠٧٨٦	١٣٠ ش جوهر القائد بالدراسة
الحسينية	٢٥٩٠٢٥٤١	٢٢ ش المشــهـد الحســينى
القلعة	٢٥١٠٨١٠٩	١ ش محمد عبه خلف الأزهر
نفيسة العلم	٢٥١٠٤٤٤١	٩ ميدان السيدة نفيسة .
الــمــكــتــب	٢٣٩٣٤١٢٧	عمارة اللواء ٢ ش شريف
الأديب كـامل	٢٣٩٦١٤٥٩	٢٨ ش البستان بباب اللوق
دار الإنسان	٣٣٣٥٠٠٣٣	١٠٩ ش التحرير، ميدان الدقي
مكتبة مدبولى	٢٥٧٥٦٤٢١	٦ ميدان طلعت حرب
مدبولى مدينة	٢٤٠١٥٦٠٢	طيبة ٢٠٠٠، ش النصـر مدينة
الــنــهضــــة	٢٣٩١٠٩٩٤	٩ ش عدلى جوار السنترال
هلا للنشـــر	٣٣٤٤٩١٣٩	٦ ش دحجــازي، خلف نــادي
الــمــكــتــبــة	٠١٠٥٠٤٢٧٩	درب الأتراك، خلف الجـامع
أم القرى	٢٥٨٩٨٢٥٣	١٢٨ ش جوهر القائد الأزهر
الأدبية الحديثة	٢٥٩٣٤٨٨٢	٩ ش الصنادقية بالأزهر
الــروضـــــة	٢٦٤٤٤٦٩٩	٢١ش د.أحمـد أمين، مصـــر
		الإســـكندرية
كشك سونا	٠١٢٤٦٠٩٠٨	محطة الرمل، أمام مطعم جاد
الــكـــتـــاب	٠١٠١٢٣٢٦٩	محطة الرمل، صفية زغلول
كشـــك محمد	٠١١٤١١٤٣٠	٦٦ شارع النبى دانيال، محطـة
مكتبة الصياد	-٣٩٢٨٥٤٩	٤ ش الذبى دانيــال، محطــة
مكتبة سيبويه	-٥٤٦٢٥٣٩	٢٣ المشـــيرأحمد إســـماعيل،

		الأقـــــاليم
كشـــك عبـد	محمد -------	الزقازيق، بجوار مدرســة عبد
مكتبة عبادة	٢٣٢٦٠٢٠-	الزقازيق – شارع نور الدين
مكتبة تاج	٣٣٣٤٦٥١-	طنطا أمام السيد البدوى
مكتبة قربة	٣٣٢٣٤٩٥-	طنطا ٩ش ســعيد والمعتصــم
كشك التحرير	٠١٠٨٩٣٥١٨	كفر الشــيخ ش الســودان أمام
مكتبة الإيمان	--------	فـايـد- الحـاج أحمـد غزالى
كشــــــــك	---------	الســويس- شــارع الشــهداء،
دار الأحمـدي	٢٣٤٧٨٠٢-	المنيـا، أبراج الجـامعـة، أمـام
أولاد	٢٣٢٧٥٩٩-	ســوهاج ش احمد عرابي أمام
كشـــك أبـو	٠١٦٩٥١٨٦١	قنا أمام مســجد ســيدي عبد
كشـــك هانى	٠١٩٩٣٠٣٩٣	قنا ميدان الساعة، هانى محمود

أيضاً بدور الأهرام والجمهورية والأخبار للتوزيع و دار الشعب والدور القومية للتوزيع والنشر ومن المكتبات الكبرى الأخرى بالقاهرة والجيزة والأسكندرية والمحافظات، ويمكن أيضاً الإطلاع إليكترونيا على نبذة مختصرة عن المؤلفات مع المقدمة والفهرست على أكبر موقع علمى للكتاب العربى على الإنترنت www.askzad.com ، كما يمكن تنزيل الكتب إليكترونيا بشروط الموقع، ويمكن طلب الكتب من الناشر: دار الإيمان والحياة، ١١٤ ش ١٠٥ المعادي بالقاهرة،

=====================================

الفهرس

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم